

القسم الأول

جمع القرآن كتابياً وصوتياً

obeikandi.com

البَابُ الْأَوَّلُ

الجمعان الكتابيان

- جمع أبي بكر

- جمع عثمان

obeikandi.com

الفصل الأول

جمع أبي بكر

١

يطلق « الجمع » - في كلام أهل القرآن - إما على حفظه جميعه عن ظهر قلب ، ومنه قوله تعالى : « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ »^(١) ، وإما على جمع متفرقه في صحف ، ثم جمع تلك الصحف في مصحف واحد ، مرتب الآيات والسور على النحو الذي تلقته الأمة من النبي^(ص) . والجمع بالمعنى الثاني هو الذي نقصده هنا .

٢

والثابت أن القرآن لم يُجمع على عهد النبي في مصحف واحد :
عن زيد بن ثابت ، قال : « قُبِضَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ فِي شَيْءٍ »^(٢) .

وربما كان ذلك لأن القرآن ظلَّ عشرين سنةً أو يزيد ينزل منجماً ، ولأن النسخ كان يرد على بعض الآيات ، فلو نُجِمِعَ الْقُرْآنَ وَقَتئذٍ ، ثُمَّ رُفِعَتْ تِلَاوَةٌ بَعْضُهُ إِلَى الْاِخْتِلَافِ وَاِخْتِلَاطِ الدِّينِ ، فَحَفِظَهُ اللَّهُ فِي الْقُلُوبِ ، إِلَى انْقِضَاءِ زَمَانِ النَّسْخِ »^(٣) .
وقيل في هذا أيضاً إن الله تعالى كان أمّن النبي من النسيان بقوله : « سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى .

(١) سورة القيامة / ١٧ .

(٢) عن ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج٩ ص ٨ - بتصرف - (ط . البية) .

(٣) نقله ابن حجر عن الجزء الأول من فوائد الدينور عاقول - انظر : فتح الباري ج٩ ص ٩ ، وانظر : السيوطي :

الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ٥٧ .

(٤) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٢٣٥ .

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» (١) ، أى ما شاء الله أن يُرفع حُكْمَهُ بالنسخ ، فلما توفى النبي (ص) أصبح النسيانُ ممكنَ الوقوع من الناس ، ومن هنا أصبحت الحاجة ماسةً إلى جمع القرآن وحفظه وتدوينه (٢) .
والنبي - في حياته - كان بين ظهراني المسلمين ، يقرأون القرآن بين يديه ، ويملكون الاسترشاد به هو نفسه في شأن هذا الكتاب ، وفي كل شأن ، ولذلك كان الخطأ في القرآن - على عهده - مأموناً تماماً .

وفي ذلك العهد ، كان الإسلام الناشئ لا يزال محدود الرقعة ، فلم تكن الحاجة إلى جمع القرآن في نفس شدتها على عهد أبي بكر ثم على عهد عثمان .

على أن الثابت أن النبي كان يستحفظ أصحابه ما ينزل عليه من القرآن عقب نزوله ، وكان له كتاب ، يكتبون - بين يديه ، وبأمره ، وإقراره - ما ينزل عليه . روى أحمد ، وأصحاب السنن الثلاثة ، وصححه ابن حبان ، والحاكم ، عن ابن عباس ، عن عثمان ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يأتي عليه الزمان ، ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنه ، فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا (٣) .

وكانوا - على ما اعتاد العرب - يكتبونه في اللِّخاف (٤) والمُسَبِّ (٥) والأكتاف (٦)

(١) سورة الأعلى / ٦

(٢) انظر : الزركشي : الريان ج ١ ص ٢٣٨

وعلى ذكر النسخ ، نذكر أنه ثبت في الصحاح ، عن عائشة وابن عباس ، أن جبريل كان يعارض النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن ، في كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه به مرتين . والعرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره ، وهي التي أمر الخلفاء الراشدين بكتابتها في المصاحف (ابن تيمية : في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل القرآن على سبعة أحرف ، وما المراد بهذه السبعة ص ٥٠ و ٥١) .

وقد شهد زيد بن ثابت العرضة الأخيرة التي بين فم ما نسخ وما بقي ، وكتبها لرسول الله ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولهذا اختير للجمعين الكتابيين البكري والغنائي (انظر : الزركشي : المرجع السابق ص ٢٣٧) .
(٣) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٢٢ (ط . محب الدين الخطيب) .

(٤) واحدها لخرة بضم اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الدقاق ؛ وقال الخطابي : صفائح الحجارة الرقاق ؛ قال الأصمعي : فيها عرض ودقة ؛ وفسره أبو ثعلبة أحد شيوخ ابن حجر بالخزف ، وهي الآنية التي تصنع من الطين المشوي (ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١١ (ط . البية) . وانظر : السيوطي : الإقتان ج ١ ص ٥٨ و ٥٩) .

(٥) جمع عيب ؛ وهو جريد النخل . كانوا يكشطون الخوص ، ويكتبون في الطرف العريض (السيوطي : نفس المرجع ص ٥٨) .

(٦) جمع كتف ، مثل كذب وكذب ، أنثى ، وهو العظم العريض الذي للبعير أو لشاء . كانوا إذا حفّ كتبوا عليه . وفي الحديث : «إيتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً» (انظر : ابن منظور : لسان العرب . مادة (ك ت ف) وانظر : السيوطي نفس المرجع ص ٥٩) .

والرقاع^(١) والأقتاب^(٢) وقطع الأديم^(٣) .

روى البخارى عن البراء قال : لما نزلت « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »^(٤) ، قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أدع لى زيدا (يريد زيد بن ثابت) ، وليجىء بالكتف والدواة » . والمسلمون مجتمعون على أن الصحابة ما كانوا يكتبون إلا ما كانوا يقطعون بسامعه من النبي ، صلى الله عليه وسلم^(٥) .

والثابت أيضاً أنه ، فى زمن النبي (ص) ، كان تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها ، وجمعها فيها بإشارة منه . أخرج الحاكم - بسند على شرط الشيخين - عن زيد بن ثابت ، قال : كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نؤلف القرآن من الرقاع^(٦) . قال البيهقي : الشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها ، وجمعها فيها ، بإشارة من النبي ، صلى الله عليه وسلم^(٧) .

وقد كان كل ما يكتب من القرآن - على عهد النبي (ص) - يُحفظ فى بيته . والشعبة يروون فى هذا « أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال لعلى - عليه السلام - : يا على ، إن القرآن خلف فراشي فى الصحف والحريير والقراطيس ، فخذوه ، واجمعوه ، ولا تضيعوه ... الخ »^(٨) .

ولئن قيل إن الثابت المتواتر هو ما المعنا إليه قبلا ، وهو أن النبي (ص) لحق بالرفيق الأعلى والقرآن غير مجموع فى موضع واحد ولا مرتب السور^(٩) ، لقد علمنا - وهذه حقيقة بالغة الأهمية - أن هذا كان من حيث الكتابة فقط لا من حيث الحفظ فى الصدور .

(١) جمع رقعة . وقد تكون من جند أو ورق أو كاغد (ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ٩ ص ١١ ط . النبية ، وانسيطى : المرجع السابق) .

(٢) مفردة قتب وقُتب ، وقد يؤث ، والتذكير أعتة ، وهو بكاف البعير ، أى الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه (انظر : لسان العرب - مادة (ق ت ب) وانظر : السيوطى : المرجع السابق) .

(٣) الخلد القديوخ (المصاحح المثير فى غريب الشرح الكبير - مادة « آدم ») .

(٤) سورة النساء : ٩٥ .

(٥) انظر : محمد نجيب المطيعي : الكلمات الحسان ص ٤٨ .

(٦) المستدرک ٢ ص ٦١١ .

(٧) السيوطى : المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٨) الكاشانى ملاحسن فيض : الصافي ص ٩ .

(٩) السيوطى : المرجع السابق .

٣

وتوفى النبي (ص) ، فقام بالأمر بعده أبو بكر ، وارتدّ بعض العرب عن الإسلام ، وظهر مسيلمة وأصحابه يدعون النبوة ، فتصدّى أبو بكر لقتال هؤلاء جميعاً ، وقتل من الصحابة وقتل من حفظ القرآن جمعٌ كبير ، فأنار ذلك الخوف على القرآن^(١) فكان أول جمع كتابي له .

يروى البخارى فى صحيحه قصة هذا الجمع ، فيقول :^(٢)

« . . . عن زيد بن ثابت ، قال :

أرسل إلى أبو بكر - مقتل أهل اليمامة^(٣) فإذا عمر بن الخطاب عنده .

قال أبو بكر - رضى الله عنه - :

إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرء القرآن ، وإنى أخشى أن

يستحرّ القتل فى المواطن^(٤) . فذهب كثير من القرآن^(٥) . وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن

(١) فى قصة هذا القتال - فما ذكر الحافظ ابن كثير : أن مسيلمة الكذاب التفت معه من المرتدين قريب من مائة ألف ، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد ، فى قريب من ثلاثة عشر ألفاً ، فالتقوا معهم ، فأنكشفت الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب .

فنادى القراء من كبار الصحابة إن خالد . خلصنا ! يقولون : ميّزنا من هؤلاء الأعراب ، فتميزوا معهم - واهردوا - فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف ، ثم صدقوا الحملة . وقانوا قتالاً شديداً ، وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ! فلم يزل ذلك دأبهم . حتى فتح الله عليهم . وولى جيش الكفر فأرأى . وأبغضهم السيوف المسلمة فى أقبعتهم قتلاً وسراً ، وقتل الله مسيلمة ، وقرق شمل أصحابه ، ثم رجعوا إلى الإسلام .

ولكن - قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم ، فلهمنا أشار عمر على الصديق بأن يجمع القرآن

البح (فضائل القرآن ذيل تفسير الحافظ ابن كثير ص ١٥) .

ويشذ المستشرق بروكلمان : فىدى تشككه من أن تكون معركة اليمامة تلك هى التى قدّمت الداعى إلى جمع القرآن

(تاريخ الأدب العربى - ترجمة عبد الحليم التجار - ص ١٣٩) وقول بروكلمان هنا سبب القصد وغير علمى ، والمسلمون من يتركوا صحيح البخارى لتشكك يكذب بالقرآن أصلاً .

(٢) حضر : كتاب فضائل القرآن . وانظر : ابن حجر لعسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ٨ - ١٣ (ط . الهيئة)

(٣) اليمامة واقعة اشتهت فيها المسلمون بمسيلة الكذاب . فى أهل اليمامة . زمن الردة . وبيها استشيد من صحابه

نحو ٤٥٠ . وقيل ٧٠٠ . وقيل : أكثر ، وجملة القتل من المسلمين ٩٦٠ أو يزيدون .

(نظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٥٢ . فى حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة) .

(٤) المراد : الأماكن التى يقع فيها القتال .

(٥) يعنى يموت حفاظه . نفس من يقون عن عدد التواتر فى نقل القرآن . مما يجعله ظنياً لا يؤمن لعنظ فيه .

قلت لعمر :

كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال عمر :

هذا والله خير

فلم يزل عمر يراجعني ، حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت في ذلك رأى عمر .

قال زيد :

وقال أبو بكر :

إنك رجلٌ شابٌّ^(١) عاقلٌ لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، صلى الله عليه

وسلم ، فتتبع القرآن واجمعه .

قال زيد :

فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما أمروني به من جمع القرآن !

قلت :

كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟

فقال :

هو والله خير .

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ،

فتبعت القرآن أجمعه من العُسْب ، واللِّخاف ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة

« لَقَدْ جَاءَكُمْ . . . »^(٢) مع أبي خزيمة الأنصاري الذي جعل النبي ، صلى الله عليه وسلم ،

شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره ، فألحقها في سورتها .

(١) كان زيد وقتها في الثانية والعشرين ، ذلك أنه كان ابن إحدى عشرة سنة ، حين قدم التي (ص) المدينة

(أبو الفدا : البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٦) .

(٢) في شأن تردّد أبي بكر أنفأ . يقبل محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية ، في دار الخلافة لعليّ بن

بنتوق بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ :

« وتردّد الصديق رضي الله عنه - يادئ ذي بدء - إما كان بملاحظة أنّ ذلك ربما يكون سبباً للتواكل في حفظه ،

والتكاسل في استظهاره ، لا باعتبار التحرج في الكتابة ، قال الله تعالى : « رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مَّطَهْرَةً . (سورة

نبية ٢) . فأتى بتصوّر التحرج من كتابة آيات السور في الصحف مع وجود هذه الآية الكريمة ؟ » (مقالات

تكثرى ص ٨)

وهذا فهم واضح السّلامة .

(٣) سورة التوبة / ١٢٨

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة بنت عمر ^(١) .

وحفصة هي إحدى زوجات الرسول ، وكانت تحفظ القرآن ، وكانت قارئة كاتبة وكان أبوها عمر أوصى إليها .

• • •

وفي شأن آيتي (التوبة) آنفاً ، نقول إن إجماع الصحابة على كتابتهما في المصحف يستحيل أن يبنى على رواية فردية .

وواضح من كلام زيد بن ثابت نفسه أنه كان يعرف هاتين الآيتين .

وإذا كان لا يعرفهما ، فكيف افتقدتهما ؟

ويقول ابن حجر العسقلاني - معتزداً بعدة روايات موثقة - إن أبا خزيمة لم ينفرد بها ، بل كان معه عمر . وزيد بن ثابت . وعثمان ، وأبي بن كعب ^(٢) .

وقد أخطأ بعض الرافضة فهم أقوال زيد بن ثابت آنفاً ، فادّعوا أن الواحد يكفي في نقل الآية والحرف ، وجعلوا هذا من مطاعنهم في القرآن الكريم . وقد أورد القرطبي - في الرد عليهم ^(٣) - إجابتين فحوى أولاهما ما ذكرناه الآن .

٤

ومع أن الصحابة كانوا قد شاهدوا تلاوة القرآن من النبي عشرين سنة ؛

ومع أن القرآن كان - كما قلنا - مكتوباً فعلا على عهد النبي (ص) إلا أنه كان مفرقاً ؛

ومع أن تزوير ما ليس منه كان مأموراً ؛

ومع أن هذا الجمع جمع أبي بكر كان - كما قال الحارث المحاسبي في كتاب

« فهم السنن » - « بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،

(١) انظر : مكى بن أبي طالب : الإبانة عن معاني القراءات ص ٢٣ و ٢٤

والزركشي : البرهان - ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤

والسيوطي : الإتقان - ١ ص ٥٧ .

(٢) انظر : فتح الباري - ٩ ص ١١ - ١٦ (ط . محب الدين الخطيب) .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن - ١ ص ٥٦ .

فيها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط ، حتى لا يضيع منها شيء (١) ؛
ومع أن زيد بن ثابت - الذي كان في حكم رئيس لجنة الجمع - كان هو وغيره من
الصحابة يحفظون القرآن ؛

ومع أنهم كانوا حراساً أمناء على القرآن ؛

فقد أتبع في هذا الجمع منهجٌ دقيقٌ حريصٌ متحرجٌ أعان على وقاية القرآن من كلِّ
ما لحق النصوص الأخرى من مظنة الوضع والانتحال ، وعوامل النسيان والضياع :

١ - كان كلٌّ من تلقى من رسول الله شيئاً من القرآن يأتي به (٢) . ومعلوم أن ذلك
كان بكلِّ الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، والتي سننسط القول فيها في موضع آخر
من هذا البحث إن شاء الله .

٢ - وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُصَب (٣) .

٣ - وكان لا يُكتب إلا :

(أ) من عين ما كُتِبَ بين يدي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لا من مجرد الحفظ (٤) ،
مع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند هذا (٥) .

(ب) وما ثبت أنه عرض على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عام وفاته ، دون ما كان
مأذوناً فيه قبلها (٦) .

(ج) وما ثبت أنه من الوجوه التي نزل بها القرآن (٧) .

٤ - وكانت كتابة الآيات والصور على الترتيب والضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم (٨) .

(١) انظر : الزركشي : البرهان - ١٥ ص ٢٣٨

والسيوطي : الإيقان - ١٥ ص ٥٨

وعبارة الخامسي الآتفة مسبوقة بقوله : « كتابة القرآن ليست محدثة ، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابه ،
ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكاف والعُصَب ، وإنما أمر الصديقين بنسخها من مكان إلى مكان » .

(٢) انظر : ابن الجوزي : تاريخ عمر بن الخطاب ص ١٢٩ . (٣) انظر : نفس المرجع .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري - ٩ ص ١١٠ (ط : الجيبة)

(٥) نفس المرجع ص ١٢

(٦) انظر : العسقلاني : لطائف الإشارات . الورقة ٦ من المخطوطة رقم ٤٦ قراءات ، بدار الكتب والوثائق

القومية بالقاهرة

(٧) السيوطي : المرجع السابق

(٨) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري - ٩ ص ١٢ (ط : نهية)

- ٥ - وكان لا يقبل من أحد شيء حتى يشهد شهيدان ، أى أنه لم يكن يُكتفى بمجرد وجدان الشيء مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً^(١) .
- ٦ - وبأمر أبي بكر ، كان عمر وزيد يقعدان على باب المسجد - وهو وقتئذ مقر لجنة الجمع - ليكتب ما يشهد عليه الشاهدان .

□ □ □

والتزمت اللجنة بهذه القواعد التزاماً كاملاً وصادقاً ، حتى قيل إن عمر نفسه أتى بما سمّوه بآية الرحم ، فلم يكتبها زيد ، لأن عمر كان وحده^(٢) .

وكذلك من دلائل الالتزام بتلك القواعد ، ما أخرجه ابن الأنباري في (المصاحف) ، ونقده سيدي في تفسيره للأية : « حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى »^(٣) من أن حفصة أم المؤمنين وابنة عمر بن الخطاب - كما أسلفنا - قالت : إذا انتهتم إلى هذه الآية فأخبروني ، فلما بلغوا إليها ، قالت : اكتبوا : « والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر » . فقال لها عمر أبوها : ألك بيّنة بهذا ؟ قالت : لا . قال : فوالله لا تُدخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بيّنة^(٤) .

(١) قال ابن حجر : « كان المراد - شاهدين لحفظ والكذب (فتح الباري : ٩ ص ١١ - ط : البهية) .

(٢) عبد السجدي : المراد أنها تشهد . على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أو أنها تشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن .

وعبد السيوطي : المراد أنها يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ، عام وفاته . (انظر :

الإبذان ١٥ ص ٥٨)

(٣) نفس المرجع

وقد أخرج أحمد . والظهيراني في الكبير . من حديث أبي أمامة بن سهل ، عن خاتمه العجماء : « إن فيها أنزل

لله من القرآن : الشيخ والشيخة إذا رزقا فأرجعهما إليه مما نقصا من الصلاة » وأخرجه ابن حبان . في صحيحه . من

حديث أبي بن كعب بلفظ : « كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة ، وكان فيها آية الرحم : الشيخ والشيخة . . .

الحديث » (انظر : الشوكاني : نيل الأوطار ٧ ص ٩١)

والشك في قرآنية هذا القول كبير جداً ، وله ما يبرره . يقول مصطفى صادق الرافعي تعقياً عليه : « فانظر أي نظم

هذا . . . ونحن لا نتحرج أو نتسم أن (الشيخ والشيخة) و (فأرجعهما إليه) مما لا يمكن بحال أن يكون من نظم القرآن ،

وأن ذلك من اللغز لمعج والكلام المعسول الذي لا يشابه القرآن في جزائه . وقوة أسره ، ودقة نظمه ، وصلابة معجمه ،

وأولى لمن جاء بها شيء . (معجاز القرآن ص ٢٩) .

وهذا - طبعاً - لا ينفي علم المسلمين الوثيق بأن الرجوع من فرائض الله تعالى .

(٤) سورة البقرة ٢٣٨ .

(٥) انظر : السيوطي : الدر المنثور ١٥ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ .

٥

وحظيَ عمل أبي بكر هذا برضى المسلمين : أخرج ابن داود في (المصاحف) بسند حسن عن عبد خير ، قال : سمعت علياً يقول : أعظم الناس في المصاحف أجراً : أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر ! هـ أول من جمع بين اللوحين ^(١) .
والحق أن لهذا الجمع فضلاً كبيراً ، فقد تدارك - في وقت مبكر - كلّ الأصو، التي كتبت فيها القرآن ، وأفاد منها. قبل أن يتفرق شيء منها ، أو يضيع ، أو تعدو عليه عمل النبي .

٦

ولقد اعترض بعض الروافض - بعد - على جمع القرآن . ولعلّ ابن حجر العسقلاني أن يكون قد جمع كلّ الردود على هذا الاعتراض .
قال ابن حجر :
« سُئِلَ لبعض الروافض أن يوجّه الاعتراض على أبي بكر بما فعل من جمع القرآن في المصحف ، فقال : كيف جاز أن يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال :

والجواب عن ذلك :

أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشئ عن النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وقد كان النبي . صلى الله عليه وسلم ، أذن في كتابة القرآن . ونسى أن يكتب معه غيره . فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً ، ولذلك توقف زيد عن كتابة الآية من آخر سورة « براءة » حتى وجدها مكتوبة ، مع أنه كان يستحضرها ومن ذكر معه .
وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم أنه يُعدّ في فضائله ، وبنوده بعظم منقبته ، لثبوت قوله ، صلى الله عليه وسلم : « من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » . فما جمع القرآن أحدٌ بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة .

وقد كان لأبي بكر من الاعتناء بقراءة القرآن ما اختار معه أن يردّ على ابن الدغينة جواره بجوار الله ورسوله^(١) .

وقد أعلم الله تعالى في القرآن أنه مجموع في الصحف في قوله : « يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً »^(٢) .
وكل القرآن مكتوباً في الصحف ، لكن كانت مفرقة ، فجمعها أبو بكر^(٣) .

٧

وقد قيل إن آخرين من الصحابة سبقوا أبا بكر إلى جمع القرآن . ونحن مناقشو هذه الروايات :

١ - روى بعض الشيعة أن علياً ، لما أراه النبي (ص) القرآن خلف فراشه في الصحف والحريز والقراطيس ، وطلب إليه جمعه ، انطلق فجمعه في ثوب أصفر ، ثم ختم عليه في بيته ، وقال : لا أرتدى حتى أجمعه .
وقال راوي الخبر :

إن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه^(٤) .

ويردّ هذه الرواية أنّ في أعقابها - في مصدرها - قصة لم يروها غير غلاة الشيعة ، ومؤداها أنّ علياً جمع القرآن ، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار ، « فلما فتحه أبو بكر ، خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر ، وقال : يا علي ! اردده ، فلا حاجة لنا فيه » . وتقول القصة : إن عمر دبّر في قتل علي ، على يد خالد بن الوليد ، وإن علياً قال لعمر لما سأله إحضار مصحفه : « إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من وُلدي » . فقال عمر : « فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ » قال علي : « نعم ، إذا قام القائم من وُلدي يُظهره ، ويحمل الناس عليه ، فتجري السنة به »^(٥) .

والوضع ظاهر في هذه القصة الحاشدة بالأقوال الخطيرة ، وذات اللون الشيعي القاع ، والتي سنناقشها في فصل تال فنجدها تحمل أسباب رفضها .

(١) انظر هذه القصة في : ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ .

(٢) سورة البقرة / ٠٢ .

(٣) انظر : فتح الباري ج ٩ ص ١٠ (ط . البية) ، وانظر . محمد نخت المطيعي : الكلمات الحسان ص ٢١

(٤) الكاشاني ملا حسن فيض : الصافي ص ٩ (٥) نفس المرجع ص ١٠ .

وثمة رواية أخرى بأن علياً جَمَعَ القرآن عقب وفاة النبي (ص) مباشرة ، وأن ذلك شَغَلَهُ عن بيعة أبي بكر (١) ، ولكن التحقيق يثبت أن بعض طرق هذه الرواية - وهو ما أخرجه أبو داود عن طريق ابن سيرين - ضعيف ، وبعض طرقها - وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبي حيان التوحيدي - موضوع . أما الذي صحَّ - كرواية أبي الضريس في فضائل عليٍّ فمحمول على الجمع في الصدر ، أي على الحفظ عن ظهر قلب (٢) .

يقول السجستاني : « لم يذكر (المصحف) أحد إلا أشعث ، وهو لَين الحديث ، وإنما قال (أي علي) : حتى أجمع القرآن ، يعني أتمَّ حفظه » (٣) .

هذا ، وقد قيل إن جمع عليٍّ كان أشبه بكتاب علم ، وكانت فيه أشياء كالناسخ والنسخ ، وإذن فصورته غير صورة الجمع البكري ، وغرضه غير غرضه (٤) .

على أن وجود هذا الكتاب مشكوك فيه أصلاً ، فابن سيرين يقول : « تطلبتُ ذلك الكتاب ، وكتبتُ فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه » (٥) .

وربما عضد أولية جمع أبي بكر ما أوردناه آنفاً عن عليٍّ نفسه ، حيث يقول : « أعظم الناس في المصاحف أجراً : أبو بكر ، رضى الله عنه ! رحمة الله على أبي بكر ! هو أول من جمع بين اللوحين » (٦) .

• • •

٢ - ورواية أخرى أخرجه ابن أبي داود من طريق الحسن ، ونصها : « أن عمر سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان ، قُتِل يوم اليمامة ، فقال : إنا لله ! وأمر بجمع القرآن ، فكان أول من جمعه في المصحف » (٧) .

(١) ابن أبي داود السجستاني : المصاحف ج ١ ص ١٠ ، والسيوطي : الإتيان ج ١ ص ٥٧ و ٥٨ .

(٢) انظر : الألبسي : روح المعاني ج ١ ص ٢١ .

(٣) السجستاني : المرجع السابق .

وانظر : ابن كثير الدمشقي : فضائل القرآن ص ٢٥ .

(٤) انظر : السجستاني : المرجع السابق . (٥) انظر : الألبسي : المرجع السابق .

(٦) انظر : السيوطي : الإتيان ج ١ ص ٥٨ .

(٧) نفس المرجع ، وانظر : ابن أبي داود السجستاني : المصاحف ج ١ ص ٥٥ .

(٨) نفس المرجع ، وبهذا عبر القرطبي في مختصره ، وابن الجوزي في « تاريخ عمر بن الخطاب » .

وانظر : ابن أبي داود : المصاحف ص ١٠

والسيوطي : الدر المنثور ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ .

وابن عساكر : التاريخ الكبير ج ٥ ص ١٣٣ .

ولكن إسناد هذه الرواية منقطع^(١) . والظن أنها لا تقصد أن تعدو رواية البخارى التى أسلفناها ، والتي تُقرر أن عمر هو فعلاً صاحب فكرة الجمع الأول . وأنه أشد بها على أبى بكر ، ولم يزل يراجع حتى شرح الله لها صدره^(٢) .
وقد تلقّف بعض المستشرقين هذه الرواية الثابت انقطاعها ، واتخذوها - مع وهنها - أساساً لأفكار تضادّ الروايات الإسلامية ولو كانت موثقة في (صحيح البخارى) وبقاى (الصّحاح) :

« (شفالى) Schwally - كما يقول بروكلمان - «أبّد الشكّ في صحة لرواية القائلة بأنّ أبى بكر الذى أمر بجمع القرآن»^(٣) .

ومثل هذا الشكّ المجانف للتاريخ الثابت صدر أيضاً عن بروكلمان ، فهو يقول في جزم :
« على أنّ الخليفة عمر هو الذى أمر زيد بن ثابت . . . أن يقوم بجمع القرآن وكتابات الوحي »^(٤)
بل إن بروكلمان تعمّد الشكّ في الباعث الذى دعا إلى الجمع البكرى ، وهو - كما تذكر الروايات الإسلامية الوثيقة - قتل عدد كبير من القراء في معركة اليمامة ، فقال متحكماً وبغير بيّنة : « وما يَحتمل كثيراً من الشكّ ما ذكرته الرواية من أنّ معركة اليمامة الحاسمة مع مسيلمة والتي قتل فيها عدد كبير من قراء الصّحابة هي التى قدّمت الداعى إلى جمع القرآن »^(٥) .

ويخبّط بروكلمان - وهو يتحدث عن جمع القرآن - في أخطاء مسمومة المقصد ، فهو يقول : « لقد جمعت قديماً - بلا ريب - سور متفرقة في مجموعات تتميز بأحرف من الهجاء في فواتحها ، فبقيت لذلك على تأليفها ، ومن أقدم هذه السور وأهمّها على وجه الخصوص مجموعة آل حاميم »^(٦) .

ويعضى بروكلمان في منافرة العلمية ، وفي ترويح الزائف والمعتلّ ، فيقول عن ابن مسعود ما لم تقله أية رواية معترف بصحتها ، يقول : « إنّ ابن مسعود أبى الحواميم على طولها في الجمع الأول ، وكان يقسم سوراً أخرى لطولها »^(٧) .

• • •

(١) السيوطى : الإيقان ج ١ ص ٥٨

(٢) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ١٠ (ط . البية)

(٣) تاريخ الأدب العربى (ترجمة عبد الحليم النجار) ج ١ ص ١٤٠ و ٢٢٦

(٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

(٦) نفس المرجع ص ١٣٩ .

٣- وروى عن أبي بريدة أنه قال :

« أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة : أقسم لا يرتدى برداء حتى يجمعه ، فجمعه (١) » .

والشك يحيط بهذه الرواية أيضاً إحاطة تسقطها :

ففي رأى السيوطي - كما يذكر الألويسي - أن قول أبي بريدة ، مع غرابته وانقطاعه ، محمول على أن سالماً هو أحد الجامعين بأمر أبي بكر .

ولكن الألويسي يصف قول السيوطي بأنه عثرة لا يقال لها : لعمراً ، لأن سالماً قُتل في وقعة

البيامة التي كان موت الحفّاظ فيها هو سبب الجمع (٢) .

• • •

٤- وقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام (٣) في أول كتابه في القراءات أسماء من نُقل

عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة ، فذكر منهم ابن عباس ، وذكر ذلك ابن الجزري

في « النشر » (٤) فقال آرثر جيفري (Arthur Jeffery) في غير تثبيت : « إن اسم ابن عباس

ورد في قوائم الذين جمعوا القرآن في حياة النبي » (٥) . ولكن هذه الرواية - بهذا الفهم

الخاطي - تتعرض للشك إذا عرفنا أن ابن عباس وُلِدَ - على الأثبت - قبل الهجرة بثلاث ،

وكان له ثلاث عشرة سنة عند وفاة الرسول (٦) ، وهذه سن لا يقوى صاحبها - غالباً - على مثل

هذه المهمة الدقيقة . وقد عاد جيفري فعبر هو نفسه عن مثل هذا الشك (٧) .

• • •

تلك بواعث الجمع الأول للقرآن ، وتلك مخططاته . فماذا عن الجمع العثماني ؟

(١) السيوطي : المرجع السابق .

(٢) روح المعاني ج ١ ص ٢٢٠ .

(٣) كان أبو عبيد مفضياً في القرآن والفقه والأخبار والعربية ، حسن الرواية ، صحيح النقل . وكان أول أمره حملاً

وعرف من كتبه نيف وعشرون كتاباً ، وهو أول من استقصى وجوه القراءات في كتاب . وقد روى القراءة عن الأعشى . مات بمكة

سنة ٢٢٣ أو ٢٢٤ عن ٦٧ سنة ، وقيل سنة ٢٣٠ ؛ (انظر السيوطي : بغية الرعاة في طبقات لعربيين والنحاة - ص ٢٠٣ و ٢٥٤ ، وابن النديم : الفهرست ص ٧١ ، وابن الجزري : طبقات القراء ج ١ رقم ٢٥٢٢) .

(٤) ج ١ ص ٦ .

Materials for the History of the Text of the Quran, p. 193.

(٥) انظر :

(٦) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٩٠ .

Jeffery, p. 193.

(٧)

الفصل الثاني

جمع عثمان

١

- تلقى الصحابة القرآن ، عن النبي (ص) ، ثم انتشروا بعيداً عن منزل الوحي ، يلقنون الناس القرآن على النحو الذي تلقوه من النبي ، فوعدت بينهم اختلافات يسيرة :
- (أ) إما بألفاظ مختلفة في السمع لا في المعنى ، كقراءة « جذوة » مثلثة الجيم^(١) .
- (ب) وإما في السمع والمعنى ، كقراءة « يُسِيرُكُمْ » و « يَشْرُكُمْ »^(٢) .
- (ج) وإما مخالفة للخط وغير مخالفة :
- ١ - بزيادة ونقص ، نحو : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى »^(٣) . ينقص لفظ « وَمَا خَلَقَ »^(٤)
- ٢ - واختلافات حركات وأبنية ، نحو « فَيَقْتُلُونَ »^(٥) مبنية للفاعل في إحدى الكلمتين ، و « يُقْتَلُونَ » مبنية للمفعول في الكلمة الأخرى^(٦) .

(١) سورة القصص ، من الآية ٢٩ .

ويقراً عاصم بفتح الجيم ، ويفتحها حمزة وخلف ، ويكسرهما الباقون .

(انظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر - ج ٢ ص ٣٤١) .

(٢) سورة يونس ، من الآية ٢٢ .

والثانية قراءة ابن عامر وأبي جعفر (انظر : ابن الجزري : نفس المرجع - ج ٢ ص ٢٨) .

واللفظان بمعنى واحد ومتلازمان ، فإن التيسير يلزمه النشر .

(٣) سورة الليل / ٣ .

(٤) روى أن ابن مسعود وأبا الدرداء كانا يسقطان « وما خلق » (انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ج ٢٠ ص ٨١) .

ومعلوم أن هذه القراءة شاذة ولا يقرأ بها .

(٥) سورة التوبة : من الآية ١١١ .

(٦) أهل الكوفة - غير عاصم - يقرأون : « فيقتلون » بضم الياء ، ويقتلون بفتح الياء . والباقيون يقرأون : الأولى

بفتح الياء ، والثانية بضمها . (انظر : الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن - ج ١٠ ص ١٤٥ و ١٤٦) .

وانظر : الفخر الرازي : التصير الكبير - ج ١٦ ص ٢٠٠) .

٣- واختلاف حروف في موضع أحرف آخر ، مثل : « طَلَحَ مَنضُودٌ »^(١) و « طلع منضود »^(٢) .

وكما يقول مكّي بن أبي طالب : « وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يكن ينكر أحدٌ ذلك على أحد ، لمشاهدتهم من أباح ذلك ، وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلما انتهى ذلك الاختلاف إلى ما لم يعاين صاحب الشرع ، ولا علم بما أباح من ذلك ، أنكر كل قوم على الآخرين قراءتهم ، واشتدّ الخصامُ بينهم »^(٣) . على أنه من الواضح أن الاختلاف في نصٍّ ما قد يُفضي إلى مخالفته ، وقد يُسهّل تحريفه وتبديله ، فوق ما يؤدي إليه من المناقضة والملاحاة .

٢

وفي سنة ٢٥ من الهجرة : السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان ، بعد أن قبض الرسولُ بخمس عشرة سنة ، فُتحت أرمينية ، وكان عثمان أَمَرَ أهل الشام وأهل العراق أن يجتمعوا على ذلك^(٤) ، وكان حذيفة بن اليمان^(٥) من جملة من غزا معهم ، وكان هو على أهل المدائن ، وهي من جملة أعمال العراق .

« وتنازع أهل الشام وأهل العراق في القرآن : أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب ، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضاً »^(٦) .

(١) سورة الواقعة / ٢٩

(٢) روى أن علي بن أبي طالب قرأ : « وطلع » بالعين ، ثم عاد فرجع إلى ما في المصحف ، وعلم أنه هو الصواب . (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - ١٧ ص ٢٠٨ و ٢٠٩) .

(٣) انظر : الإبانة عن معاني القراءات ص ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

(٤) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٩ ص ١٣ (ط . البية) .

(٥) صحابي مشهور ، وشهد أحنكاً مع أبيه ، وروى عنه جماعة من كبار الصحابة ، وكان صاحب سر رسول الله (ص) في المنافقين ، يعلمهم وحده ، وكان يكتب خرض ثمر الحجاز . وانظر ترجمته في :

ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة - ١ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ .

والنورى : تهذيب الأسماء واللغات - ١ ص ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ .

والثعالبي : لطائف المعارف ص ٤٠ .

(٦) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٩ ص ١٤ (ط . البية) .

ورأى حذيفة ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ، ورأى أهل البصرة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قرأوا على أبي موسى ، ويسمّون مصحفه « لباب القلوب »^(١)

وغضب حذيفة لما سمع ، و « احمرّت عيناه » كما تقول الرواية^(٢) . وقيل في سبب غضبه إن اثنين اختلفا في آية من سورة البقرة : قرأ هذا : « وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ »^(٣) ، وقرأ هذا : « وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ »^(٤) .

فقام حذيفة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : هكذا كان من قبلكم ، اختلفوا ! والله لأركبن إلى أمير المؤمنين .

وجاء مفرعاً إلى المدينة ، ولم يدخل بيته حتى أتى عثمان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى !^(٥) ، أو قال : أنا النذير العريان ! فأدركوا الأمة !^(٦) .

وصادف أن عثمان أيضاً كان وقع له نحو ذلك : « كان المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل العلماء يتلقونه فيختلفون ، حتى كفر بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك عثمان ، فتعاطم في نفسه ، فقال : أتم عندى يختلفون ؟ ! فمن نأى عنى من الأمصار أشد

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٣ ص ٨٥ و٨٦ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج٩ ص ١٤ (ط . البية) .

(٣) سورة البقرة ، من الآية ١٩٦ ، وهكذا هي في المصحف العثماني .

(٤) قيل إنها كانت هكذا في قراءة : عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وعلمة .

(انظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج٢ ص ١٢٠)

والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص ٣٦٩ .

ويقول أبو حيان الأندلسي : ينبغي أن يُحمل هذا كله على التفسير ، لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمع عليه

المسلمون . (البحر المحيط ج٢ ص ٧٢) .

(٥) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج٩ ص ١٤ و١٥ (ط . البية) .

ويقول ابن كثير الدمشقي تعقيماً على قول حذيفة بن البيان : « قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » :

« . . . وذلك أن اليهود والنصارى يختلفون فيما بأيديهم من الكتب :

فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة

والتسامرة بحالفونهم في ألفاظ كثيرة ومدن أيضاً . وليس في توراة التسامرة حروف الهزرة ، ولا حرف الماء ، ولا الياء .

والنصارى أيضاً بأيديهم توراة بسموتها (العتيقة) ، وهي مخالفة لنسخة اليهود والتسامرة .

وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة : إنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل متى ، وإنجيل يوحنا ، وهي مختلفة

أيضاً اختلافاً كبيراً . . . إلخ (فضائل القرآن - ذيل تفسير الحافظ ابن كثير ص ١٩) .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج٣ ص ٨٦

اختلافاً ! (١) .

وهكذا ، لما جاء حذيفة عثمان ، وأعلمه باختلاف أهل الأمصار ، تحقق عند عثمان ما ظنه من ذلك (٢) .

واستشار عثمان الصحابة ، قال : ما تقولون في هذه القراءة ، فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قرأتى خير من قراءتك . وهذا يكاد أن يكون كفراً ؟
قال الصحابة (٣) :

فما ترى ؟

قال : أرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف .

قال الصحابة : فنعم ما رأيت ! (٤) .

٣

هنالك أرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر أن أرسل إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ، يريد ما كان أبو بكر قد أمر زيد بن ثابت بجمعه (٥) .
وتقول بعض الروايات إن حفصة أبت ، حتى عاهدها عثمان ليردّ المصحف إليها ، فنسخ منها ، ثم ردّها (٦) .

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٤

(٢) روى مسلم أن حذيفة قال : أخبرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة (الجامع

الصحيح ج ٨ ص ١٧٢ و ١٧٣)

وقد قيل - بناء على ذلك - إنه لا يعد أن يكون النبي قد أسر إلى حذيفة بدعوة عثمان إلى جمع القرآن على حرف واحد إذا رأى اختلاف الناس في قراءته ، فكتم حذيفة هذا الأمر حتى جاء وقته (انظر : محمد طاهر بن عبد القادر الكردى : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه - هامش ص ٣٣) .

(٣) الرواية هنا رواية علي بن أبي طالب الذي حكى أن عثمان ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ من الصحابة.

(٤) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٥ .

(٥) نفس المرجع .

(٦) فلم تزل عندها ، وكان مروان أمير المدينة من جهة معاوية يسأطها هذه الصحف فتأبى أن تعطيه . فلما توفيت حفصة ، ورجعوا من دفنها ، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه تلك الصحف ، فأرسل بها إليه ، فأمر بها مروان فشققت . وقال : إنما فعلت هذا لأني خشيت - إن طال بالناس زمان - أن يرتاب في شأن هذه الصحف مراتب

(ابن حجر العسقلاني : نفس المرجع ص ١٦ ط : نبيهة)

واللائف أن المحافظة على هذه الصحف كانت بالغة ، فقد كانت عند أبي بكر لم تفارقه في حياته ، ثم عند عمر أيامه ، ثم كانت عند حفصة لا تُمكنُ منها كما أوضحنا^(١) .
وأمر عثمانُ زيدَ بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص^(٢) ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام^(٣) ، فنسخوا هذه الصحف في المصاحف .

وفي رواية مصعب بن سعد بن أبي وقاص أن عثمان قال : مَنْ أَكْتَبُ النَّاسُ ؟
قالوا : كاتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت .
قال : فأى الناس أعرب ؟ (وفي رواية : أفصح) .

قالوا : سعيد بن العاص .

قال عثمان : فليُملِّ سعيد ، وليُكْتَبْ زيد^(٤)

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم^(٥) .

كان اختيار زيد وسعيد للمعنى المذكور فيهما في رواية مصعب ، ثم احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة ، بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي تُرسل إلى الآفاق ، فأضافوا إلى زيد جماعة ، منهم : مالك بن أبي عامر جد مالك بن أنس ، وكثير بن أفلح - وأبي ابن كعب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس^(٦) .

وعن محمد بن سيرين : أن عثمان جمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار ، فيهم أبي ابن كعب ، وزيد بن ثابت في جمع القرآن^(٧) .

بيد أن الذهبي يقول . « وما أحسب أن عثمان نَدب للمصحف أياً ، ولو كان كذلك لاشتهر ، ولكان الذُّكْر لأبي لا لزيد »^(٨) .

وتفيد بعض الروايات أن هذه اللجنة ضُمَّت أيضاً عبد الله بن عمر بن الخطاب ،

(١) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٢٣٩ .

(٢) في البرهان للزركشي (ج ١ ص ٢٣٦) : سعد بن أبي وقاص . ولعله خطأ في النسخ .

(٣) انظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٧ .

(٤) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٥ (ط البيه) .

(٥) نفس المرجع ص ١٦ .

(٦) نفس المرجع ص ١٥ و ١٦ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى - في ترجمة أبي بن كعب ج ٣ ص ٦٣ (ط . ليدن سنة ١٣٢١ هـ) .

(٨) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٧ .

وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأَبَانُ بن سعيد (١) .
 وفي شأن « أبان » ، تذكر بعض الروايات أن عثمان قال لزيد : « إني جاعل معك رجلاً ليبياً فصيحاً ، فما اجتمعنا عليه فاكتباه ، وما اختلفنا فيه فافرقناه إلى » ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص (٢) .

وربما كان القصد من كل هذه الجماعة المساعدة المشتهر أعضاؤها بالضبط والمعرفة أن ينضم العدد إلى العدالة ، وإلا فقد كان زيد قادراً بذاته على هذه المهمة (٣) .
 وهكذا - كما قال القاضي أبو بكر في « الانتصار » - : « لم يقصد عثمان قَصْدَ أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قَصَدَ جَمْعَهُمْ على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وإلغاء ما ليس كذلك ، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ، ولا تأويل أثبت مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد » (٤) .

٤

وقد أثار تشكيل لجنة الجمع على ذلك النحو عبد الله بن مسعود الذي شقَّ عليه صرفه عن كتابة المصحف ، حتى قال : يا معشر المسلمين ! أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ، ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلْبِ رجل كافر ، يريد زيد بن ثابت (٥) .
 وابن مسعود حقيق أن يكون حاضرَ لجنةِ مجمع القرآن :

(١) انظر : الحداد خلف الحسيني : الكواكب الدرية ص ٢١ .

(٢) انظر : الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١ ص ٦٠ (ط . المعارف بمصر) .

والطحاوي : مشكل الآثار ج ٤ ص ١٩٣ .

ويقول القرطبي ، في شأن اشترك (أبان) في الجمع العثماني :

« قال الطبري فيما روى : إن عثمان قرأ به (زيد) أبان بن سعيد بن العاص وحده ، وهذا ضعيف ، وما ذكره البخاري والترمذي أصح » (انظر : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٢) .

(٣) انظر : الحداد خلف الحسيني : الكتاب السابق ص ٢١ و ٢٢ .

(٤) نقلاً عن الزركشي : البرهان ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ، والسيوطي : الإتيان ج ١ ص ٦٠ .

(٥) انظر : فتح الباري ج ٩ ص ١٦ (ط . اللمعة) . وانظر أقوالاً أخرى من هذا القبيل في : ابن أبي داود .

١ - فهو أول من جهر به ، بعد رسول الله (ص) ، بمكة ، أيام شدة المسلمين وضعفهم .

روى ابن إسحاق :

« اجتمع يوماً أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا : والله ما سمعتُ قریش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يُسمِعُهُمْ ؟

فقال عبد الله بن مسعود : أنا !

قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه .

قال : دعوني ، فإن الله سيمعني .

قال راوى القصة عروة بن الزبير : فغداً ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقریش

فى أنديةها ، حتى قام عند المقام ، ثم قرأ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، رافعاً بها صوته ، « الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ . (١) »

قال : ثم استقبلها بقرؤها .

قال : فتأملوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟

قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربونه

فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد آثروا فى وجهه .

فقالوا : هذا الذى خشينا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهونَ علىّ منهم الآن ، ولئن شتم لأغادبنهم بمثلها غداً .

قالوا : لا ! حسبك ! قد أسمعتهم ما يكرهون ! (٢)

٢ - وقد أعطى ابن مسعود حظاً عظيماً فى تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله ، حتى لقد

كان النبي نفسه يقول : « من أحب أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزل فليقرأه قراءة ابن أم عبد . »

يعنى : عبد الله بن مسعود (٣) .

وقد أحبّ النبي (ص) أن يسمع القرآن منه ، ولما قرأ أبكى رسول الله (٤)

(١) سورة الرحمن / ١ و ٢ .

(٢) انظر : ابن هشام : سيرة النبي ج ١ ص ٣٣٦ و ٣٣٧ .

والفريزى : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٠ .

(٣) انظر : مستد أحمد بن حنبل ، باب فضل القراءة على قراءة عبد الله بن مسعود ، وانظر : أحمد عبد الرحمن

البن : الفتح الربانى لترتيب مستد الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ج ١٨ ص ٢١ .

(٤) أخرجه البخارى فى : ٦٦ - كتاب فضائل القرآن و ٣٥ - باب البكاء عند قراءة القرآن ، وانظر : الفتح

الربانى ج ١٨ ص ٢١ .

٣- بل إن النبي أمر بتعلم القرآن من أربعة : أولهم عبد الله بن مسعود . روى البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : استقرئوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود (فبدأ به) ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل (١) .

٤- وكان ابن مسعود يقول : « لقد أخذت من في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي من الصبيان » (٢) وفي رواية : « وزيد له ذؤابة يلعب مع الغلمان » (٣) . وكان يقول : « والله الذى لا إله غيره ! ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه » (٤) .

٥- وثمة رواية تقرر أن ابن مسعود شهد ، عقب العرضة الأخيرة ، ما نسخ من القرآن وما بدّل (٥) .

٦- وكان ابن مسعود - فيما يذكر الرواة - « ممن يتحرى في الأداء ، ويشدد في الرواية ، ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ » (٦) .

(١) أخرجه البخارى في : ٦٢ - كتاب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ٢٦ - باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة . وسالم قتل يوم اليمامة شهيداً . (وانظر : النوى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٠٦ رقم ١٩٥) . أما أبى بن كعب فقد روى البخارى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : إن الله أمرنى أن أقرأ عليك : « لم يكن الذين كفروا قال : وما نرى ! قال : نعم ، فبكى . (أخرجه البخارى في : ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار : ١٦ - باب مناقب أبى بن كعب .

ومفهوم أن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم على أبى بن كعب للإرشاد والتعليم . وعن أبى عبيد الله القاسم بن سلام ، قال : معنى هذا الحديث : أن يتعلم أبى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلم قراءة أبى رضى الله تعالى عنه (انظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ص ٥٥) . وأما معاذ بن جبل ، فأحد الذين كانوا يفتنون على عهد الرسول ، وظفر منه بالثناء الكثير (انظر : الفتح الربانى ج ١ ص ٩٩ رقم ١٤٣) .

(٢) انظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ج ٩ ص ١٦ (ط . نجدة) .
(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٣٩ .
(٤) أخرجه البخارى في : ٦٦ - كتاب فضائل القرآن : ٨ - باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .
(٥) ابن الجزرى : النشر ج ١ ص ٢٢ .
(٦) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣ .
وانظر ترجمة ابن مسعود في :

النوى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

وابن الأثير : أسد الغابة ج ٣ ص ٢٥٦ - ٢٦٠ .

ولكن ، لعلّ لعثمان عندي في هذا الشأن :

(١) فقد جُمِع القرآن بالمدينة ، وعبد الله بن مسعود وقتئذ بالكوفة ، ولم يؤخّر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر^(١) .

(ب) وأيضاً ، فإنّ عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جُمِعت في عهد أبي بكر ، وأن يجعلها مصحفاً واحداً ، وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت ، لكونه كان كاتب الوحي ، فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره^(٢) . وكما قيل : فهلاًّ عبت على أبي بكر^{(٣)؟}

(ج) وزيد شهد - ييقين - العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي ، وكتبها لرسول الله ، وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات^(٤) .

(د) وكان زيد معروفاً بكمال الدين ، وحسن السيرة ، والعدالة ، والعلم . وَصَفَهُ النبي (ص) - فيما روى أحمد ، والنسائي من حديث أبي قلابة ، عن أنس - بأنه أعلم أصحابه بالفرائض^(٥) .

وكان زيد بن ثابت - مثل ابن مسعود - من السّنة الصّحابة أصحاب الفتوى . وهم : عمر ، وعلّي ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وأبو موسى ، وزيد بن ثابت^(٦) . ويقول سعد بن أبي وقاص في شيء من القضاء : ما عرفناه حتى علّمناه زيد بن ثابت^(٧) .

(هـ) وكان زيد يكتب ، للنبي (ص) ، إلى الملوك ، مع ما كان يكتبه من الوحي^(٨) وقد اختصه النبي بمهمّ خطير هو أن يتعلم لغة اليهود ، ليكتب - للنبي - إليهم ، وليقرأ

= وابن حجر العسقلاني : الإصابة ج ٢ ص ٨٩٠ - ٨٩٣ .

وابن الجزري : غاية النهاية ١٩١٤ .

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ١٦ (ط البيهية) .

(٢) نفس المرجع .

(٣) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٤٩ .

(٤) انظر : السيوطي : الإبتقان ج ١ ص ٥٠ ، والزرکشي : البرهان ج ١ ص ٢٣٧ .

(٥) انظر : أبو القدا الدمشقي : البداية والنهاية في التاريخ ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٦) انظر : ابن حجر العسقلاني : الإصابة ج ٣ ص ٢٣ .

وانظر : وكيع محمد بن خلف بن حيان : أخبار القضاة ج ١ ص ١٠٥ .

(٧) وكيع محمد بن خلف بن حيان : المرجع السابق ج ١ ص ١٠٧ .

(٨) الثعالبي : لطائف المعارف ص ٤٠ .

له ما يكتبون (١) ، وهذا دليل ثقة النبي (ص) بفهم زيد وأمانته .

(و) وأعطاه النبي (ص) - يوم تبوك - راية بنى النجار ، وقال : القرآن مُقدّم ، وزيدٌ أكثر أخذاً للقرآن (٢) .

(ز) وكان عمر يستخلفه إذا حجّ ؛ وكان معه حين قدم الشام (٣) .

(ح) وزيد هو الذى تولى قسّم غنائم اليرموك ، واشترك فى واقعة اليمامة ، ورُمى فيها بسهم لم يضره (٤) .

(ط) ولزيد عند الصحابة منزلته الكريمة كعالم :

روى الشَّعْبِيُّ : وضع زيد بن ثابت رِجله فى الركاب ليركب ، فأمسكه له ابن عباس ، فقال له : تنح يا بن عم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : إنا هكذا نصنع بالعلماء أو قال : بأهل بيت نبينا (٥) .

وكان ابن عباس يقول عن زيد : إنه من الراسخين فى العلم (٦) . ولعل مما يزيد من قيمة هذا التكريم أن ابن عباس ، فوق كونه ابن عم النبي ، كان له من الشأن فى الإسلام ما جعله يُلقب بربّانى الأمة ، وقد دعا له النبي (ص) أن يفقهه الله فى الدين ، ويعلمه التأويل (٧) وقد كان ابن عباس هذا وأبو عبد الرحمن السلمي ممن قرأوا على زيد (٨) .

(ى) ويفيد قول أبى بكر ، وهو يخاطب زيدا يوم طلب إليه الجمع الأول : « إنك رجل شاب عاقل لا تهملك ، وقد كنت تكتب الوحي » أن لزيد - كما يقول ابن حجر العسقلاني (٩) - أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك :

كونه شابا ، فيكون أنشط لما يطلب منه

(١) انظر : البخارى : الصحيح - باب ترجمة الحكام ج ٦ ص ٩٤ .

وانظر : الحاكم النيسابورى : المستدرک ج ١ ص ٢٧٥ .

والبلاذرى : فتوح البلدان - ١١١٥ القسم الثالث ص ٥٨٣ .

(٢) التورى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٠١ .

وانظر : وكيع محمد بن خلف بن حيان : أخبار القضاة ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) المرجعان السابقان .

(٤) المرجعان السابقان .

(٥) انظر : أبو حيان التوحيدى : البصائر والذخائر ، المجلد الأول ص ١١٢ .

(٦) انظر : الحداد خلف الحسينى : الكواكب الدرية ص ١٨ .

(٧) انظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٧ و ٣٨ .

(٨) نفس المرجع ص ٢٩ .

(٩) نتج البارى ج ٩ ص ١٠ (ط البيهية) .

وكونه عاقلاً ، فيكون أوعى له .

وكونه لا يتهم ، فتركب النفس إليه .

وكونه كان يكتب الوحى ، فيكون أكثر ممارسة له (١) .

وهذه الصفات التى اجتمعت له قد توجد فى غيره لكن مُفَرَّقة .

(ك) ولئن كان النبي (ص) أتى على ابن مسعود قارئ القرآن . كما أتى على غيره . إن

ذلك لا يمنع أن يكون زيداً أحفظ وأوثق .

وثمة روايتان جديرتان - لو صحتا - أن ترداً ابن مسعود عن مهمة الجمع :

يقول القرطبي : « فالتائع الذائع المتعالم عند أهل الرواية والنقل : أن عبد الله بن مسعود

تعلم بقية القرآن ، بعد وفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، ويقول : « وقد قال بعض

الأئمة : مات عبد الله بن مسعود قبل أن يختم القرآن » (٢) .

٥

وأرسل عثمان إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف ، والمشهور أن هذه المصاحف

خمس ، وقيل : أربعة . قال أبو عمرو الداني فى « المقنع » : « أكثر العلماء على أن عثمان

- رضى الله عنه - لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ ، وبعث إلى كل ناحية من

النواحي بواحدة منهن : فوجه إلى الكوفة إحداهن ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ،

وأمسك عند نفسه واحدة . وقد قيل إنه جعله سبع نسخ ، ووجه من ذلك أيضاً نسخة إلى

مكة ، ونسخة إلى اليمن ، ونسخة إلى البحرين . والأول أصح ، وعليه الأئمة (٣) .

وأمر عثمان بما سوى مصحفه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ، وبعث

إلى الأمصار أتى قد صنعت كذا وكذا ، ومحوت ما عندى ، فامحوا ما عندكم (٤) . يقول

ابن قيم الجوزية - فى هذا التحريق - إنه « كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة » (٥) .

(١) لكثرة ما تناطى زيد الكتابة للنبي (ص) : أطلق عليه « الكاتب » بلام المهد .

(انظر : نفس المرجع ج ٩ ص ١٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٣ .

(٣) النسخة المخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة رقم ٢٦٣ قراءات ص ١٠ و ١١ ، والنسخة المطبوعة ص ٩ .

(٤) فتح الباري ج ٩ ص ١٧ (ط . البية) .

(٥) الطرق الحكيمية ص ١٤ .

ورضى الناس هذا .

قال زيد بن ثابت : فرأيت أصحاب محمد يقولون : أحسن والله عثمان ! أحسن والله عثمان !^(١) .

وروى ابن أبي داود ، بإسناد صحيح ، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : « أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف ، فأعجبهم ذلك ، ولم ينكر عليه أحد »^(٢) .

ويقول الذهبي في عثمان بن عفان : « من نظر في تحريه - وقت أمره بجمع القرآن - علم مرتبته وجلالته »^(٣) .

ويقول الزركشي ، في حديثه عن صنيع عثمان أيضاً : « ولقد وفق لأمر عظيم ، ورفع الاختلاف ، وجمع الكلمة ، وأراح الأمة »^(٤) .

وقد ردّ الزركشي أيضاً على اعتراض بعض الروافض على هذا العمل بقوله : « وأما تعلق الروافض بأن عثمان أحرق المصاحف فإنه جهلٌ منهم وعمى ، فإن هذا من فضائله وعلمه ، فإنه أصلح ، ولم الشعث ، وكان ذلك واجباً عليه »^(٥) .

ويقول : « وفي الجملة ، إنه إمام عدلٌ غير معاند ، ولا طاغ في التنزيل ، ولم يحرق إلا ما يجب إحراقه ، ولهذا لم ينكر عليه أحد ذلك ، بل رضوه ، وعدّوه من مناقبه »^(٦) .

وقد ألمعنا قبلاً إلى تحييد على لهذا الصنيع ، ونضيف أنه قال : « لو وليت ما ولي عثمان لعميت بالمصاحف ما عمل »^(٧) . وفي رواية : « لو لم يصنعه هو لصنعت »^(٨) .

وقد نقل عن ابن مسعود أنه قال : لما أحرق مصحفه : « لو ملكت كما ملكوا لصنعت »

(١) انظر : نظام الدين النيسابوري : غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج ١ ص ٢٧ .

(٢) المصاحف ص ١٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩ .

(٤) البرهان ج ١ ص ٣٤٠ .

(٥) نفس المرجع ج ١ ص ٢٤٠ .

(٦) نفس المرجع .

ويقول القرطبي : وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأمة : « جاز للإمام تحريق الصحف التي فيها القرآن إذا أداه الاجتهاد إلى ذلك » . (انظر : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٤ و ٥٥) .

(٧) انظر : الزركشي : البرهان ج ١ ص ٢٤٠ .

(٨) ابن أبي داود : المصاحف ص ١٢ .

بمصحفهم كما صنعوا». والألومى يرى هذا كذباً ، شأنه شأن ما زعمه الشيعة من سوء معاملة عثمان معه حين أخذ الصّحف منه^(١) .

٦

وربما انضاف إلى مبررات رضى الناس عن تصّرف عثمان ، إذ جَمَعَ النَّاسَ على مصحف واحد ، أن الضرورة الوقتية - التي كان القرآن قد نزل ، من أجلها ، على سبعة أحرف - كانت قد ارتفعت ، فارتفع حكمها ، ولهذا بيان أطول في مواضع أخرى من هذا البحث . يقول الطحاوى ، في شأن تلك الضرورة :

« فكانت هذه السبعة للناس ، في هذه الحروف ، لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها مما لا يقدرون عليه . . . فكانوا على ذلك حتى كثر من يكتب منهم ، وحتى عادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقرأوا بذلك - على تحفظ - القرآن ، بالألفاظ التي نزل بها ، فلم يسمعهم حينئذ أن يقرءوه بخلافها ، وبان - بما ذكرنا - أن تلك السبعة الأحرف إنما كانت في وقت خاص ، لضرورة دَعَتْ إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يُقرأ به القرآن على حرف واحد »^(٢) .

ومثل هذا رأى الباقلانى وأبى عمر بن عبد البرّ ، ومؤداه : أن القراءة بالسبعة الأحرف كانت رخصة في أول الأمر ، ثم نسخت بزوال العذر ، وتيسر الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلم الكتابة^(٣) .

على أن ابن حزم يردّ على من يقولون بأن عثمان - إذ كتب المصحف الذى أجمع الناس عليه - أسقط ستة أحرف من الأحرف المنزلة ، واقتصر على حرف منها ، بأن قولهم باطل « ببهان كالشمس ، وهو أن عثمان - رضى الله عنه - لم يك إلا جزيرة العرب كلّها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد ، والقراء يعلمون الصبيان والنساء ، وكلّ من ذبّ وهبّ ، واليمن كلّها ، وهى فى أيامه مدن وقرى ، والبحرين كذلك ، وعمان كذلك ، وهى بلاد واسعة : مدن وقرى ، وملكها عظيم ، ومكة ، والطائف ، والمدينة ، والشام ... كلّها كذلك ، والجزيرة

(١) روح المعاني ج ١ ص ٢٢ .

(٢) مشكل الآثار ج ٤ ص ١٩٠ و ١٩١ .

(٣) انظر : ابن كثير الدمشقي : فضائل القرآن ص ٣٧ .

كذلك ، ومصر كلها كذلك ، والكوفة ، والبصرة كذلك ، في كل هذه البلاد من المصاحف والقراء ما لا يُحصى عددهم إلا الله تعالى وحده ، فلو رام عثمان ما ذكروا ما قدر على ذلك أصلاً» (١) .

ويرد ابن حزم أيضاً على من يقولون إن عثمان جمع الناس على مصحف ، فيقول : « وأما قولهم كذا فباطل ، ما كان يقدر على ذلك لما ذكرناه ، ولا ذهب عثمان قط إلى جمع الناس على مصحف كتبه ، إنما خشي - رضى الله عنه - أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين ، أو أن يهيم واهم ، فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال ، فكتب مصاحف مجتمعة عليها ، وبعث إلى كل أفتى مصحفاً ، لكى - إن وهم واهم أو بدّل مبدل - رجع إلى المصحف المجتمع عليه ، فانكشف الحق ، وبطل الكيد والوهم ، فقط » (٢) .

ويقول ابن قيم الجوزية ، وهو يعرض سياسة الإسلام في بعض النواحي : « ومن ذلك جمع عثمان - رضى الله عنه - الناس على حرف واحد ، من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القراءة بها ، لما كان ذلك مصلحة . فلما خاف الصحابة - رضى الله عنهم - على الأمة أن يختلفوا في القرآن ، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلموا ذلك ، ومنعوا الناس من القراءة بغيره . وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت ، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت ، ويطمع فيهم العدو ، فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد ، وترك بقية الطرق ، جاز ذلك ، ولم يكن فيه إبطال لها ، لكون تلك الطرق موصلة أيضاً إلى المقصود ، وإن كان فيه نهى عن سلوكها لمصلحة الأمة » (٣) .

ويصف طه حسين عمل عثمان هذا بأن فيه كثيراً من الجراءة ، ولكن فيه من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجراءة (٤) ، ثم يقول : « فلو قد ترك عثمان الناس يقرءون القرآن قراءات مختلفة بلغات متباينة في ألفاظها لكان هذا مصدر فرقة لا شك فيها ، ولكان من المحقق أن هذه الفرقة حول الألفاظ ستؤدي إلى فرقة شر منها حول المعاني ، بعد أن كان الفتح ، وبعد أن استعرب الأعاجم ، وبعد أن أخذ الأعراب يقرءون القرآن » (٥) .

(١) الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ٧٧ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) الطرق الحكيمة ص ٢٠ .

(٤) الفتنة الكبرى - عثمان ص ١٨٢ .

(٥) نفس الكتاب ص ١٨٣ .

٧

ويمكن أن يتسَّق لنا - فيما يلي - منهج الجمع العثماني :

١ - الاعتماد على عمل اللجنة الأولى التي تولت الجمع على عهد أبي بكر ، أى على رُبعة حفصة التي أشرنا إليها^(١) ، والتي هي - كما يستفاد من منهج جمعها آنفاً - مستندة إلى الأصل المكتوب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بأمره ، وبذلك ينسَدُ باب القالة^(٢) ، فلا يزعم زاعم أنَّ في الرُبعة شيئاً لم يكتب في المصحف العثماني ، أو أنه كُتِب في هذا ما لم يكن في تلك^(٣) .

٢ - أن يتعاهد اللجنة خليفة المسلمين نفسه^(٤) .

٣ - أن يأتي كلٌّ من عنده شيء من القرآن سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم بما عنده^(٥) . وأن يشترك الجميع في علم ما جُمع ، على نحو ما اتبع في الجمع البكرى ، فلا يغيب في هذه المرة أيضاً عن جمع القرآن أحدٌ عنده منه شيء ، ولا يرتاب أحدٌ فيها يودع المصحف ، ولا يشكُّ في أنه جُمع عن ملامئهم^(٦) .

٤ - إذا اختلفوا في أية آية ، قالوا : هذه أقرأها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلاناً ، فیرسل إليه ، وهو على رأس ثلاث^(٧) من المدينة ، فيقال له : كيف أقرأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آية كذا وكذا ؟ فيقول : كذا وكذا . . . فيكتبونها ، وقد تركوا لذلك مكاناً^(٨) .

(١) فتح الباری ج٩ ص ١١٥ ط البية)

(٢) انظر : لحدود خلف الحسبي : لكواكب الدرية ص ٢١

(٣) انظر : على سلطان القارى : شرح العقيلة - المخطوطة رقم ٢٣ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ،

الوقفة ١٤

(٤) انظر : السيوطي : الإتيان ج١ ص ٥٩

(٥) ابن أبي داود : المصاحف ج١ ص ٢٤

(٦) التزكيتي : البرهان ج١ ص ٢٣٩

(٧) نقضود : ثلاث ليال . (انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٥٤)

(٨) أبو عمرو اندلسي : الفتح في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار - المخطوطة رقم ٢٦٣ قراءات ، بدار الكتب

والوثائق القومية بالقاهرة ص ٩٨ ، والنسخة المطبوعة ص ٧ ، والسيوطي : الإتيان ج١ ص ٥٩ .

٥ - يقتصر - عند الاختلاف - على لغة قريش^(١) .

٦ - والمقصود من الجمع على لغة واحدة : الجمع على القراءة المتواترة المعلوم عند الجميع ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن اختلفت وجوهها ، حتى لا تكون فرقة واختلاف ، فإن ما يعلم الجميع أنه قراءة ثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يختلفون فيها ، ولا يُنكر أحدٌ منهم ما يقرأه الآخر^(٢) .

٧ - وعند كتابة لفظٍ تواتر - عن النبي صلى الله عليه وسلم - النطق به ، على أكثر من وجه ، تُبقي اللجئة هذا اللفظ خالياً من أية علامة تقصير النطق به على وجه واحد ، « لتكون دلالة اللفظ الواحد على كلا اللفظين المتقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المتقولين المفهومين »^(٣) .

٨ - وخشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد ، يمنع كما مُنع في الجمع البكري عن كتابة ما يأتي ، فضلاً عن قراءته وسماعه :

(أ) ما نُسخت تلاوته^(٤) .

(ب) وما لم يكن في العرصة الأخيرة^(٥) .

(ج) وما لم يثبت من القراءات ، وما كانت روايته آحاداً^(٦) .

(د) وما لم تُعلم قرآنيته ، أو ماليس بقرآن ، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في

مصاحفهم الخاصة ، شرحاً لمعنى أو بياناً لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك^(٧) .

٩ - فيما خلا ما قد يختلف فيه أعضاء اللجنة ، وما تصدر تعليقات الخليفة المعبرة عن رأى

(١) احتج عثمان في هذا بأن القرآن نزل بلغة قريش ، وإن كان قد وُصِّع في قراءته بلغة غيرهم ، رفقاً للخرج والمثقة في ابتداء الأمر ، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت ، فاقصر على لغة واحدة (السيوطي : الإفتان - ١ ص ٦٠) . وقد اختلفوا في كتابة كلمة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » بالهاء ، وقال القرشيون : « التابوت » بالتاء المفتوحة ، لأنه كذلك في لغة قريش (ابن حجر العسقلاني : فتح الباري - ٩ ص ١٦ ط - البيهقي) ، فرجع ذلك إلى عثمان . فقال : « كتبه » ، « التابوت » ، « فإبما أنزل القرآن على لسان قريش (انظر : أبو عمرو الداني : المقنع ص ٤ ط - دمشق)

(٢) انظر : محمد نجيب المطيعي : الكلمات الحسان ص ٢٨

(٣) ابن الجزري : النشر - ١ ص ٣٣ . وواضح أن الكتابة العربية كانت بطبيعتها خالية وقتئذ من النقط والشكل .

(٤) انظر : السيوطي : الإفتان - ١ ص ٦٠

والزركشي : البرهان - ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦

(٥) السيوطي : الإفتان - ١ ص ٥٩

(٦) نفس المرجع ص ٦٠

(٧) انظر : الزركشي : البرهان - ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦

الصحابة صريحة بالاقصصار فيه على حرف قريش ، يشتمل الجمع على الأحرف التي نزل عليها القرآن ، والتي لم تغير في العرضتين الأخيرتين ، وذلك على النحو الآتي :

- (١) الكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة تجعل - حسبنا أوضحنا آنفاً - خالية من أية علامات ضابطة تحدد طريقة واحدة للنطق بها ؛ وبذلك تكون هذه الكلمات محتملة لما اشتملت عليه من القراءات ، وتكتب برسم واحد في جميع المصاحف ، مثل :
- ١ - « فَتَيَّنُوا »^(١) التي رُوِيَتْ أَيْضاً « فَتَشَّبُوا »^(٢)
- ٢ - « نُنَشِّرُهَا »^(٣) التي رُوِيَتْ « نُنَشِّرُهَا » و « نُنَشَّرُهَا »^(٤)
- ٣ - « هَيْتَ لَكَ »^(٥) التي قرئت بسبع قراءات ، مع بقاء رسمها كما هو^(٦) .
- ٤ - « أْفُ »^(٧) التي قرئت بثلاث قراءات دون تغيير في رسمها^(٨) .

(١) سورة الحجرات / من الآية ٦

(٢) هكذا يقرؤها حمزة ، والكسائي ، وخلف (ابن الجزري : النشر ٢ ص ٢٥١)

(٣) سورة البقرة / من الآية ٢٥٩

(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو : « نُنَشِّرُهَا » بضم النون الأولى ، وبالراء .

وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف : « نُنَشَّرُهَا » بالزاي .

وروي أبان عن عاصم : « نُنَشَّرُهَا » ، بفتح النون الأولى وضمّ الشين والراء .

(انظر : ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ص ١٨٩)

وإبن الجزري : النشر في القراءات العشر ٢ ص ٢٣١

والدمياطي البنا : إتحاف فضلاء البشر ص ١٦٢)

(٥) سورة يوسف / من الآية ٢٣

(٦) قرأ ابن كثير : « هَيْتَ لَكَ » ، بفتح الهاء ، وتسكين الياء ، وضمّ التاء .

وقرأ نافع ، وابن عامر ، وابن ذكوان (أحد الراويين الأشهرين لابن عامر) ، وأبو جعفر : « هَيْتَ لَكَ » ،

بكسر الهاء ، وتسكين الياء ، ونصب التاء .

وقرأ ابن عامر أيضاً : « هَيْتَ لَكَ » من نياتُ لك ، بكسر الهاء ، وهزالياء ، وضمّ التاء .

وعن هشام (وهو أيضاً أحد الراويين الأشهرين لابن عامر) : « هَيْتَ لَكَ » ، بكسر الهاء ، وهزالياء ، وفتح التاء

وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي : « هَيْتَ لَكَ » ، بفتح الهاء ، وسكون الياء ، وفتح التاء .

(انظر : ابن مجاهد : كتاب السبعة ص ٣٤٧ .

وإبن الجزري : النشر ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ .

والدمياطي البنا : الإتحاف ص ٢٦٣ .

(٧) سورة الإسراء / من الآية ٢٣ ، وسورة الأنبياء / من الآية ٦٧ ، وسورة الأحقاف / من الآية ١٧ .

(٨) قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، ويعقوب : « أْفُ » ، بفتح الفاء .

وقرأ نافع ، وحفص ، وأبو جعفر : « أْفُ » بالتونين .

وقرأ أبو عمرو ، وعاصم (في رواية أبي بكر) ، وحمزة ، والكسائي : « أْفُ » خفضاً بغير تونين .

(انظر : السبعة ص ٣٧٩ ، والنشر ٢ ص ٣٠٦ ، والإتحاف ص ٢٨٣)

(ب) الكلمات التي تضمنت قراءتين أو أكثر ، والتي لم تُنسخ في العرصة الأخيرة ، والتي لا يجعلها تجريدتها من العلامات الضابطة محتملة لما ورد فيها من القراءات لا تكتب برسم واحد في جميع المصاحف ، بل تُرسم في بعض المصاحف برسم يدلّ على قراءة ، وفي بعضها برسم آخر يدلّ على القراءة الأخرى^(١) .
وأهمّ الأمثلة على هذا :

- ١ - « وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا »^(٢)، تكتب في أحد المصاحف (وهو الشامي) بغير واو^(٣)
- ٢ « وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ^(٤) » تُرسم ، في بعض المصاحف ، بواوین قبل الصاد ، من غير ألف بين الواوین ، وفي بعضها ، بإثبات ألف بين الواوین^(٥) .
- ٣ - « وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ »^(٦) ، تُرسم ، في بعض المصاحف ، بواو قبل السين ، وفي بعضها ، بحذف الواو^(٧) :
- ٤ « وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ »^(٨) ، بزيادة الباء في الاسمين أي « وَإِلِزْبُرٍ وَبِالْكِتَابِ »

(١) انظر : علي محمد الضباع : سيمر الطالبين - مبحث ما فيه قراءتان ، وورد برسمين على حسب كل منهما ص

١٠٦-١٠١

ويستبعد القلقشندي ، عند حديثه عن نقط المصاحف الذي كان أبو الأسود الدؤلي قد وضعه ، أن تكون حروف القرآن - قبل ذلك - مع تشابه صورها ، ظلت عريثة عن النقط إلى حين نقط المصحف (انظر : صبح الأعشى ج٣ ص ١٥١) .

(٢) سورة البقرة / ١١٦ .

(٣) انظر : النسخة في القراءات ص ٢٦٨ ، والنشر ج١ ص ١١ ، والإتحاف ص ١٤٦ :

وعلى أساس ما ورد في المصحف الشامي ، يقرأ ابن عامر « قالوا ، بغير واو ، أما الباقيون فيقرءون بالواو (الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج١ ص ٤٣٣)

(٤) سورة البقرة / ١٣٢

(٥) أبو عمرو الداني : المتعص ص ١٠٢ في النسخة المطبوعة .

ونتيجة هذا الاختلاف ، يقرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر : (أوصى) من الإيضاء ، والباقيون يقرءون : (وصى) بالتشديد . (انظر : نظام الدين النيسابوري : غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج١ ص ٤٤٨)

(٦) سورة آل عمران / ١٣٣

(٧) ونتيجة هذا الاختلاف ، يقرأ نافع ، وابن عامر : « سارعوا » ، بغير واو ، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام ، ويقرأ باقي السبعة « وسارعوا » بالواو . وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق .

(انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص ٢٠٣ .

والفخر الرازي : التفسير الكبير ج٩ ص ٤

والطبرسي : مجمع البيان ج٤ ص ١٩٧

(٨) سورة آل عمران / ١٨٤

ثبت ذلك في أحد المصاحف (وهو الشامي^(١)) .

٥ - « جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ »^(٢) ترمم بأحد المصاحف (وهو المكي) بزيادة « من »

قبل « تحتها » ، وفي بقية المصاحف بحذفها^(٣) .

٦ - « مِنْهَا مُنْقَلَبًا »^(٤) ، تُثبت في بعض المصاحف بالثنائية^(٥) .

٧ - « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ »^(٦) ، تُثبت في أحد المصاحف (وهو المكي أيضاً)

بحذف « هو »^(٧) .

١٠ - في شأن ترتيب آيات كل سورة يلتزم ما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أتبعه في العرصة الأخيرة ، في السنة التي توفي فيها ، ويعتبر هذا الترتيب توقيفاً من الله^(٨) .

وكذلك تلتزم اللجنة في ترتيب السور ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وما روى في جمع أبي بكر أيضاً .

١١ - بعد الفراغ من كتابة المصحف الإمام ، وقبل حمل الناس على كتابة لمصاحف

على نمطه ، يراجعه زيد بن ثابت المرات المناسبة^(٩) ، ثم يراجعه خليفة المسلمين بنفسه ، تأكيداً

(١) النشر ١٠ ص ١١

يقول الطبري : . . . ويقرأ ابن عامر الشامي بالباء ، وكذلك هي في مصاحف الشام ، والباقر بن غير ناه (مجمع

البيان ٤٠ ص ٢٨٧) .

(٢) سورة التوبة / ١٠٠

(٣) النشر ١٠ ص ١١

ولهذا ، قرأ ابن كثير بزيادة « من » ، وكذلك هو في مصاحف مكة ، وقرأ الباقر بن غير « من » ، وعليه سائر المصاحف

(الطبري ١٠ ص ١٢٦)

(٤) سورة الكهف / من الآية ٣٦

(٥) النشر ١٠ ص ١١

وفي مصاحف مكة والمدينة والشام « منها » . وفي مصاحف أهل البصرة والكوفة « منها » ، على التوحيد (القرطبي

١٠ ص ٤٠٤ ، والفخر الرازي : ٢١ ص ١٢٦)

(٦) سورة الحديد / من الآية ٢٤

(٧) النشر ١٠ ص ١١

ونتيجة لهذا الاختلاف ، يقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، بحذف « هو » ، والباقر بن غير . ومصاحف أهل

المدينة والشام على الحذف . (انظر : الفخر الرازي : ٢٩ ص ٢٤٠ ، والقرطبي : ١٧ ص ٢٦٠)

(٨) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ٩ ص ٣٢ - ٣٦ (ط . النبية) .

(٩) ذكر الطبري أن زيد بن ثابت راجع المصحف ثلاث مرات (جامع البيان ج ١ ص ٦٠ و ٦١ ط . محمود

محمد شاكر) :

في الأولى ، لم يجد فيه هذه الآية : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا كَلِمًا » (سورة الأحزاب / ٢٣) . قال زيد : فاسترضت المهاجرين أسألم عنها ، فلم أجد لها عند أحد =

للأمان من أي نسيان (١).

هذا هو منهج الجمع العثماني فيما اتسق لنا ، ومن قبل أوضاعنا - بطريقة مماثلة - منهج الجمع البكري ، والحق أن المنهجين كليهما - بدقتهما ، وإخلاص القائمين عليهما ، وبما أديا من خدمة بالغة العظمة للقرآن - حقيقان بأن يكون منهما قدوة للتخطيط والعمل في الجمع الصوتي الأول للقرآن : الجمع الذي يعتبر الثالث في الترتيب التاريخي لمرات جمع هذا الكتاب العظيم .

فإلى مشروع هذا الجمع الأخير . . .

= منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها ، فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجدتها عند خزيمية بن ثابت فكتبها (ابن أبي داود : المصاحف - ١ ص ١٩) وفي المراجعة الثانية ، لم يجد زيد هاتين الآيتين : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ . . . » إلى آخر السورة (سورة التوبة / ١٢٨ و ١٢٩) . قال زيد أيضاً : فاستعرضت المهاجرين ، فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجدتها مع رجل آخر يُدعى خزيمية أيضاً ، فأتيتها في آخر (براءة) إلخ . . . وفي المراجعة الثالثة ، لم يجد شيئاً .

• • •

والذي يتضح لنا من الصحيح أن قصة آيتي (التوبة) كانت عند الجمع البكري ، وقد تحدثنا في الفصل السابق عن أن إثبات هاتين الآيتين في المصحف لم يكن أبداً من رواية أبي خزيمية الأنصاري وحده . أما قصة آية الأحزاب التي أوردتها الطبري فلم تكن في جمع أبي بكر ، وإن صححت - وهو بعيد - فإنها تكون في جمع عثمان . وواضح حتى من نصها أن زيد بن ثابت كان يحفظ الآية الكريمة ، ولذلك سأل عنها المهاجرين ثم الأنصار ، حتى وجدها عند خزيمية بن ثابت ، فكتبها . فهكذا يقطع النص بأن الآية إنما أثبتت بشهادة اثنين - على الأقل - هما : خزيمية وزيد .

وقد قيل إن فقد زيد هذه الآية يستدعي - بظاهره - أن في المصاحف العثمانية زيادة لم تكن في مصحف أبي بكر . وقد صدق الألويسي المفسر أن هذه القصة صحيحة ، فقال مدافعاً : « والأمر - في ذلك - هين ، إذ مثل هذه الزيادة اليسيرة لا توجب مغايرة يُعابها . . . » إلى أن قال : « ولو كان هناك غيرها لذكر ، وليس فليس . . . »

وقال : « ولا يقدر أيضاً في الجمع السابق ، إذ يحتمل أن يكون سقوطها منه من باب الغفلة ، وكثيراً ما يعثر السائحون في رياض حظائر قدس كلام رب العالمين ، فيذكرهم سبحانه بما غفلوا ، فيتداركون ما أغفلوا . . . وزيد هذا كان في الجمعين ، ولعله القرد المعول عليه . . . لكن عراه في أرضها ما عراه ، وفي ثانيتهما ، ذكره من تكفل بحفظ التذكرة فتدارك ما نساه » (روح المعاني ج ١ ص ٢٣) .

والحق أن هذه القصة لا يمكن علمياً أن تثبت أصلاً . وقد ذهب ابن حجر العسقلاني إلى أن الطبري إذ أوردتها (وهي) فيها ، وأنه « أدرج بعض الأسانيد على بعض » (فتح الباري ج ٩ ص ١٢ ط . محب الدين الخطيب) . ومن ثمة : فإننا نرفض هذه القصة برمتها رفضاً .

(١) الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٦١ ط . محمود محمد شاكر .

obeikandi.com

البَابُ الثَّانِي
الْجَمْعُ الصَّوْتِي الْأَوَّلُ
أَوْ
الْمَصْحَفُ الْمُرْتَلُّ

obeikandi.com

الفصل الأول

الفكرة

١

لفظ « المصحف »^(١) اسم مجموعة صحائف القرآن مرتبة الآيات والسور على الوجه الذي تلقته الأمة الإسلامية من النبي (ص) .
حكى المظفرى فى تاريخه ، قال :
لما جمع أبو بكر القرآن ، قال : سمّوه .
فقال بعضهم : سمّوه إنجيلا ، فكرهوه .
وقال بعضهم : سمّوه : السّفر ، فكرهوه من يهود .
فقال ابن مسعود : رأيت بالحبيشة كتاباً يدعونه المصحف ، فسمّوه به^(٢) .
وأخرج ابن أشته ، فى كتاب « المصاحف » ، من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب ،
قال :

لما جمعوا القرآن ، فكثبوه فى الورق ، قال أبو بكر : التمسوا له اسماً ، فقال بعضهم :
السّفر ؛ وقال بعضهم : المصحف ، فإن الحبيشة يسمّونه « المصحف » .
وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله ، وسماه « المصحف »^(٣) .

على أن هذا اللفظ ، وإن يكن - حسب هذه الرواية - معرباً عن الحبيشية^(٤) ، كان

(١) المصحف بضم الميم وكسرهما ، والأصل والأشهر هو الضم لأنه مأخوذ من (أصحف) ، أى جمعت فيه الصحف (انظر : ابن منظور : لسان العرب - مادة ص ح ف) .
(٢) انظر : السيوطى : الإتيان ١٠ ص ٥١
(٣) المرجع السابق

(٤) الكلمة الحبيشية Mashaf . وهى - فى رأى بعض الباحثين - دخلت العربية مع اصطلاحات دينية أخرى مثل : (الحواريين) و(المتافق) و(المشكاة) وما إليها . وبما يستدل به على حبيشه هذا اللفظ أنه ليس فى العربية .

- منذ ما قبل الرواية - مما استعمل العرب . يقول امرؤ القيس في إحدى قصائده :
 أنت حجج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهان
 بل لا يبعد أن يكون لفظ « المصحف » مما تداول المسلمون أنفسهم قبلاً بنفس المعنى الذى
 قصَدته التسمية البكرية ، بل لعله الأقرب والأكثر قبولا :
 فمن أبى هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : الغرباء فى الدنيا أربعة ، (وعدَّ
 منها مصحفاً فى بيت لا يُقرأ فيه) (١) .
 وروى ابن ماجه ، وغيره ، عن أنس - مرفوعاً - : سَعَّ يجرى للعبد أجره بعد
 موته وهو فى قبره (وعدَّ منهم أيضاً من ورث مصحفاً) (٢) .
 وعن نافع ، عن ابن عمر ، قال : نسي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسافر
 بالمصاحف إلى أرض العدو مخافة أن ينالوها ، وفى رواية : مخافة أن يتناول منه شيء ، وفى
 رواية أخرى : مخافة أن يناله العدو (٣) .

٢

وكما طلب أبو بكر اسما للجمع القرآنى المكتوب ، كان ضرورياً أن يحتاج صاحب
 فكرة الجمع الصوتى إلى اسم لهذا الجمع . وكان طبيعياً جداً أنه آثر تسميته (المصحف) :

= فعل ثلاثى من مادة (صحف) يمكن أن نشق منه كلمة (المصحف) ، بينها فى الحثية يستعملون الفعل (صحف)
 بمعنى (كتب) .

(انظر : بول كراوس : بحث بعنوان (المصحف) بمجلة الثقافة ع ١١ مايو سنة ١٩٤٣) .

(١) انظر : المناوى : فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٠٩

(٢) انظر : ابن أبى داود : المصاحف ج ٥ ص ١٨٠ و ١٨١

والسيوطى : الإتيان ج ٢ ص ١٧٣

(٣) انظر : ابن أبى داود : المصاحف ج ٥ ص ١٨٠ و ١٨١

والسيوطى : الإتيان ج ٢ ص ١٧٣

وذكر السيوطى هذا الحديث فى « الجامع الصغير » ، ورمز له بالصحة . ولكن المناوى - فى شرح الجامع الصغير
 المسمى بالتيسير قال عن هذا الحديث إن إسناده ضعيف ، وإن المصنف وهم حيث رمز لصحته (ج ٢ ص ٥٢) .
 وذكر المناوى أيضاً فى شرح حديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع
 به ، أو ولد صالح يدعو له » إنه وردت - فى أحاديث أخرى - زيادة على هذه الثلاثة تنبأها ، فلفت أحد عشر ، نظماً فى
 خمسة أبيات ، منها :

وراة مصحف ، ورباط ثغر وحفرأ لشر أو إجراء نهر

نفس الاسم الذي ورد في الأحاديث النبوية ، أو الذي اختاره المسلمون - على عهد الخليفة الأول ، لمجموعة القرآن المكتوبة المرتبة الآيات والسور ، على الوجه الذي تلقته الأمة من النبي (ص) ، مع زيادة الصفة الجوهرية التي تميزه عن المصحف المكتوب ، وهي أنه « المسموع » . وذكر صاحب الفكرة هذا الاسم في كل ما أذاع ونشر عن فكرته في مستهل عهدها .

• • •

وواضح أنّ هذه التسمية مأخوذة مما ورد في القرآن نفسه في شأن سماع الوحي :

« أَفْتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ » (١) .

« وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ » (٢)

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ » (٣)

« وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا » (٤) .

« وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » (٥) .

« مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ » (٦) .

« إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ » (٧) .

« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُسْتَكْبِرِينَ كَانُوا لَمْ يَسْمَعُهَا » (٨) .

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوَى فِيهِ » (٩) .

« يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَانُوا لَمْ يَسْمَعُهَا » (١٠)

« وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ » (١١) .

« قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى » (١٢) .

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ اتَّوَلَّوهُ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَاءً » (١٣)

« وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ » (١٤) .

(٨) سورة لقمان / ٧

(٩) سورة فصلت / ٢٦

(١٠) سورة الجاثية / ٨

(١١) سورة الأحقاف / ٢٩

(١٢) سورة الأحقاف / ٣٠

(١٣) سورة محمد / ١٦

(١٤) سورة القلم / ٥١

(١) سورة البقرة / ٧٥

(٢) سورة المائدة / ٨٣

(٣) سورة الأنعام / ٢٥

(٤) سورة الأعراف / ٢٠٤

(٥) سورة طه / ١٣

(٦) سورة الأنبياء / ٢

(٧) سورة النمل / ٨١

« قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ^(١) »
 « وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ ^(٢) »

• • •

ومنذ أوائل القرن الخامس الهجري ، قال إمام الحرمين الجويني (٤١٩ - ٤٧٨ هـ) : ^(٣)
 « كلام الله تعالى مسموع في إطلاق المسلمين ، والشاهد لذلك - من كتاب الله تعالى -
 قوله تعالى : « وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ^(٤) » .
 وقال عن لفظة « السَّمْع » : فقد يُراد بها الإدراك ، وقد يُراد بها الفهم والإحاطة ، وقد
 يُراد بها الطاعة والانقياد ، وقد يُراد بها الإجابة ^(٥) .
 وقال : فإذا سُمِّيَ كلامُ الله تعالى مسموعاً ، فالمعنى به كونه مفهوماً معلوماً عن أصوات
 مُدرّكة ومسموعة . . إلخ ^(٦)

٣

على أنه بدا لنا ، بعد مؤلّد المشروع بقليل ، لسبب سنده تفضيلاً في الفصل التالي ،
 استبدال كلمة « المرتل » بكلمة المسموع ، فحَمَلَ مشروعُ الجمعِ الصوتيِّ الأولِ منذ وقتئذٍ
 اسم « مشروع المصحف المرتل » ^(٧) .
 والمرتل مأخوذ من (رتل) الثغر ، فهو رَتَلٌ - من باب تَعَبَ - إذا استوى نباته وحسنَ
 تنضيده ، وكان مُقْلِجاً لا يركب بعضه على بعض . ويستعمل الترتل في حسن تناسق الشيء .
 ومن المجاز : « رتل القرآن ترتيلاً » إذا ترسّل في تلاوته ، وأحسن تأليف حروفه ؛ وهو يترسّل
 في كلامه ويترتلل ^(٨) .

(٢) سورة الجن / ١٣

(١) سورة الجن / ١

(٣) أنظر كتابه : الإرشاد إلى قواطع الأدنة في أصيد الاعتقاد ، بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعمل عبد العظيم

عبد الحميد .

(٤) سورة التوبة / ٦ - وانظر : الجويني : المرجع السابق ص ١٣٣

(٥) الجويني : نفس المرجع

(٦) نفس المرجع ص ١٣٤

(٧) لدى المرجع الشيخ محمود شلتوت خوفاً من أن يفهم بعض العامة كلمة « المسموع » بمعناها الغالب عندهم

ووجه المشهور .

(٨) انظر : الترمحشري : أساس البلاغة : (ر ت ل) .

وفخر الدين نظريحي لسجى : مجمع البحرين في غريب القرآن والأحاديث ص ٤٣٦

ومجمع اللغة العربية بمصر : معجم ألفاظ القرآن الكريم - ص ١٠ ص ٤٣٥

والقرآن نفسه يقول :

« كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » (١)
 « أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » (٢)

والترتيل - اصطلاحاً - هو القراءة بتؤدة واطمئنان ، وإخراج كل حرف من مخرجه ، مع إعطائه حقه ومستحقه ، ومع تدبر المعاني .

وقيل : هو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف .

وقيل أيضاً : هو خفض الصوت ، والتحزين بالقراءة (٣) .

والترتيل - بهذا ، وبما هو الكيفية التي نزل بها القرآن « وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » (٤) - هو أفضل مراتب القراءة الأربع : الترتيل ، ثم التحقيق الذي هو أكثر اطمئناناً ، والذي يُؤخذ به في مقام التعليم ، لرياضة الألسن وتقويم الألفاظ ، ثم الحذر الذي هو الإسراع في القراءة مع مراعاة الأحكام ، ويكون لتكثير الحسنات في القراءة ، فيما يرى بعض المسلمين ، ثم التدوير الذي هو مرتبة متوسطة بين الترتيل والحذر (٥) .

والنبي نفسه صلى الله عليه وسلم كانت قراءته ترتيلاً ، فقد كان - تنفيذاً لأمر ربه - يقرأ القرآن « عَلَى مَكْثٍ » (٦) ، أى على مهل ، وباطمئنان وتؤدة ، ليتيسر لسامعيه تلقيه وفهمه

(١) سورة الفرقان / ٣٢

ومعنى « وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » : أنزلناه على الترتيل ، وهو ضد العجلة ، وبيئناه ومكثناه . (انظر : مجمع اللغة العربية بدمشق : مجمع ألفاظ القرآن الكريم ١٠ ص ٤٥٤)

(٢) سورة المزمل / ٤ .

قال ابن عباس في تفسيره : « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » : بيئته .

وقال مجاهد : تأن فيه .

وقال الضحاك : ابنه حرفاً حرفاً ، يقول الله تعالى : ثبت في قراءته ، وتمهل فيها ، واضل الحرف من الحرف الذي يعلمه (انظر : ابن الجزرى : النشر ١٠ ص ٢٠٨) .

وعن عليّ : الترتيل : مجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف (نفس المرجع ص ٢٠٩) .

(٣) انظر : عليّ الجرجاني : التعريفات ص ٥٧

(٤) سورة الفرقان / ٣٢

(٥) الترتيل : مذهب ورش ، وعاصم ، وحمره .

والحذر : مذهب ابن كثير ، وأبي عمرو وقالون .

والتدوير : مذهب ابن عامر ، والكسائي .

(التهانوي : كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ١٠ ص ١٩٦)

(٦) يقول تعالى : « وَرَتَّلْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » (سورة الإسراء / ١٠٦) .

وتدبره والانفعال به ، وكان صلوات الله عليه - فيما ذكر أبو داود والنسائي من حديث أبي ابن كعب - يقطع قراءته ، ويقف عند كل آية ، فيقول : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) » ، ويقف . « الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » (٢) . ويقف . وثابت أنه كان يرتل السورة حتى تكون أطول منها ، وأنه قام بآية يرددها حتى الصباح (٣) . وهو يحب في الترتيل ، فيقول : يقال لصاحب القرآن : اقرأ ، وارق ، ورتل ، كما كنت تُرتل في الدنيا ، فإن مترك عند آخر آية تقرأها (٤) .

يقول الشافعي : « أقل الترتيل : ترك العجلة في القرآن عن الإبانة ، وكلما زاد على أقل الإبانة في القرآن كان أحب إلي ، ما لم يبلغ أن تكون الزيادة فيه تمطيًا (٥) » .
ويقول الفزالي : « واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر ، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يُستحب له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام »
وحتى أرباب السياسة ممن لم يرتفع لهم ذكر بين علماء القرآن كانوا يوصون بالترتيل في القراءة :

في الكتاب المشهور الذي وجهه طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر - لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما - وهو الكتاب الذي وصاه فيه بكثير من الآداب والسياسة يحتاج إليها في دولته وسلطانه ، يقول طاهر : « ورتل في قراءتك ، وتمكّن في ركوعك وسجودك وتشهدك . . . إلخ » (٦)

ويقول الوصافي الحبشي المتوفى سنة ٥٧٨٢ هـ : ويسنّ ترتيل القرآن ولو لمن لا يفهم (٧)

• • •

وقد استهزئ بمشروع المصحف المرتل غداة الإعلان عنه ، وعدّه بدعةً محدثة لا يجرؤ عليها إلا عابث أو مأجور (٨) .

(١) سورة الفاتحة / ١ .

(٢) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ١٥ ص ٣٢٥ و ٣٢٦

(٣) انظر : القسطلاني : لطائف الإشارات ١٥ الورقة ٤ - المخطوطة رقم ٤٠٦ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، والورقة ٥ من المخطوطة رقم ٤٩ قراءات بنفس الدار .

وانظر : البغوي الفراء : مصابيح السنة ١٥ ص ١٠٣ .

(٤) انظر : كتاب أحكام القرآن للشافعي - جمعه البيهقي ١٥ ص ٦٤

(٥) انظر : ابن الجزري : النشر ١٥ ص ٢٠٩

(٦) انظر : ابن خلدون : المقدمة ص ٢٦٠ (ط . التحرير)

(٧) انظر كتابه : البركة في فضل السعي والحركة ص ١٦

(٨) نشر في صحيفة الجمهورية ، يوم ١٤/٣/١٩٥٩ ، ما مؤداه أن البحث عن طريقة جديدة للمحافظة -

والرَّدُّ أنَّ كتابة المصحف نفسها ، على نحو ما فصلناه آنفاً ، كان عملاً مستحدثاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنَّ الصحابة - لِمْطَلَقِ المصلحة - فعلوه . وقد أصبحت هذه الكتابة المثل المختار لمن يؤكدون العمل بالمصلحة المرسله :

يتكلم الشاطبي صاحب « الموافقات » و « الاعتصام » عن المصالح المرسله ، « وهى التى يرجع معناها إلى اعتبار المناسب الذى لا يشهد له أصل معين » ، ويبسطها بأمثلة أولها : « أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اتفقوا على جمع المصحف ، وليس ثم نص على جمعه وكتبه أيضاً ، بل قد قال بعضهم : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم (١) - ؟ » ، ثم يقول الشاطبي في هذا الشأن : « ولم يرِدْ نص عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بما صنعوا من ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعاً ، فإن ذلك راجع إلى حفظ الشريعة ، والأمر بحفظها معلوم ، وإلى منع الذريعة للاختلاف فى أصلها الذى هو القرآن ، وقد عُلِمَ النهى عن الاختلاف فى ذلك بما لا مزيد عليه (٢) » . وسيظل هذا الاجتهاد محل الثمات المسلمين وإعجابهم (٣) .

٤

وقد رأى بعضهم فى سنة ١٩٦٤ م ، - بباعث غير علمتى ولا جدوى - أن يطلق - على مجموعة « أسطوانات » القرآن - اسم « القرآن المرتل » ، بدلا من « المصحف المرتل » . ونود أن نذكر أصحاب هذا الرأى بأن المسلمين الأولين لما جمعوا القرآن كتابة احتاجوا إلى اسم لهذا الجمع ، فكان أن اختاروا له اسم « المصحف » على نحو ما قدمنا . وهم - بدهياً - لم يفهم أن ما جمعه هو القرآن ، ولو استسأغوا إطلاق اسم « القرآن » على الجسم المادى الذى سُجِّلَ فيه القرآن لفعلوا ، ولكنهم لاحظوا - بالضرورة - أن القرآن هو « كلمات غيبية = على القرآن تعنى أن المصاحف أصبحت « مودة » قديمة ، وأن الحفظ « مايفسح حد يضمنه » . وجاء بعد هذا ما نصه :

« ويقول الشيخ أبو زهرة : إن هذا عبث لا يجب أن يقول به أحد . إن الذين يقومون بهذه الدعوات ناس ماجورون ، فقرة القرآن هى التى يجعل الإنسان يحسن بروحانيته » .

(١) الاعتصام - ص ٢٨٧

(٢) نفس المرجع ص ٢٩٠

(٣) انظر مثلا : محمد الخضر الجكنى الشنقيطى مفتى المالكية بالمدينة المنورة : قمع أهل الزيغ والإلحاد عن

الطنن فى تقليد أئمة الاجتهاد ص ٤٥

مجردة عن المواد»^(١) ، وأنه كما يقول السنيون : « كلام الله تعالى غير مخلوق ، وهو مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصدور ، مقروء بالألسن ، مسموع بالأذان ، غير حال في شيء منها »^(٢) ، وكما يقول الألوسي : « فقولهم غير حال إشارة إلى مرتبته النفسية الأزلية ، فإنه من الشؤون الذاتية ، ولم تفارق الذات ولا تفارقها أبداً ، ولكن الله تعالى أظهر صورها في الخيال والحس ، فصارت كلمات مخيلة وملفوظة مسموعة ومكتوبة مرئية . فظهر في تلك المظاهر من غير حلول »^(٣) .

وقد كان القسطلاني يعبر - عن هذه العقيدة السليمة الغالبة - بقوله : « القرآن غير مخلوق ، ولا حال في المصاحف ولا في القلوب والألسنة والأذان ، بل معنى قائم بذات الله ... وهذا كما يقال : النار جوهر محرق ، يذكر باللفظ ويكتب بالقلم ولا يلزم منه كون حقيقة النار صوتاً وحروراً »^(٤)

وأحمد بن حنبل يقول^(٥) : « إن الله أبطل أن يكون القرآن شيئاً غير الوحي ، لقوله : « إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »^(٦) . وقوله : « فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى »^(٧) .

والأشاعرة يرون ما لا يمكن أن يسمح للمسلمين أن يقبلوا إطلاق اسم « القرآن المرتل » على « الأسطوانات » آنفاً :

فمؤدّي كلام أبي الحسن الأشعري أنه إن يكن القرآن كلام الله غير معبر ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع ، فإن الحروف المقطعة فيه والألوان والأجسام والأصوات مخلوقة لا مخترعة^(٨) .

والسبكي - في تلخيصه لكلام الأشعري والمسلمين غير المبتدعين عن القرآن - يقول : « ولا يجوز الانفصال - على القرآن - عن ذات الله ، ولا الحلول في المحال ، وكون الكلام مكتوباً على الحقيقة في الكتاب لا يقتضى حلوله فيه ، ولا انفصاله عن ذات المتكلم »^(٩)

(١) الألوسي : روح المعاني ١٠ ص ١١

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع

(٤) لوائح الإشارات : الورقة ٥ من المخطوطة رقم ٤٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(٥) انظر كتابه : الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من مشابهة القرآن وتأويله على غير تأويله ، ص ١٦

(٦) سورة النجم / ٤

(٧) سورة النجم / ١٠

(٨) انظر : ابن عساكر : تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص ١٥٠

(٩) طبقات الشافعية ٣ ص ٤١٧ و ٤١٨ (بتحقيق الطنحاشي والحلو)

والفخر الرازي يقرر أيضاً - في شدة - أن الأصوات التي نقرأ بها ليست كلام الله .
يقول :

« زَعَمَتِ الحشوية أن هذه الأصوات التي نسمعها من هذا الإنسان عين كلام الله تعالى ، وهذا باطل ، لأننا نعلم - بالبديهة - أن هذه الحروف والأصوات التي نسمعها من هذا الإنسان صفة قائمة بلسانه وأصواته ، فلو قلنا بأنها عين كلام الله تعالى لَزِمْنَا القول بأن الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى ، وحالته بدن هذا الإنسان . وهذا معلوم الفساد بالضرورة .
وأيضاً ، فهذا عين ما يقوله النصارى من أن أقنوم الكلمة حلت في ناسوت صريح ، وزعموا أنها حالة في ناسوت عيسى عليه السلام . ومع ذلك فهي صفة الله تعالى ، وغير زائلة عنه .

وهذا عين ما يقوله الحشوية من أن كلام الله تعالى حال في لسان هذا الإنسان ، مع أنه غير زائل عن ذات الله تعالى ، ولا فرق بين القولين ، إلا أن النصارى قالوا بهذا القول في حق عيسى وحده ، وهؤلاء الحقن قالوا بهذا القول الخبيث في حق كل الناس من الشرق إلى الغرب^(١) . »

وينفي أبو الحسين الخياط المعتزلي المعروف عن فرقة ما نُسب إليهم من أنهم قالوا إن الناس لم يسمِعوا القرآن على الحقيقة ، وإن ما في المصاحف ليس بكلام الله إلا على المجاز^(٢) .
وما انفك المسلمون - حتى عصرنا الحاضر وإلى ما شاء الله - يقصرون إطلاق اسم (القرآن) على كلماته الأزلية فحسب ، ومن ثم ، فكل جسم وكل جرم مُبعَّد تماماً عن هذا الاسم .

يقول صاحب (مناهل العرفان) ، وهو من المعاصرين :

« القرآن يطلق على الصفة القديمة ، ويطلق على الكلمات الحكيمة الأزلية ، وهذان الإطلاقان لا تعدد فيهما ألبتة ، لا حقيقة ولا اعتباراً . بل هما مترهان عنه ، لأن التعدد من أمارات الحدوث ، كيف وهما قديمان ؟ »^(٣) .

• • •

وشيء اصطلاح عليه الذين شاهدوا نزول القرآن ، وأروه ضرورياً ، وتبين صوابه للمسلمين

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ١ ص ٣١ و ٣٢

(٢) انظر : الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ص ٨٢

(٣) محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ص ١٤ (الطبعة الثانية)

جيلاً بعد جيل ، ولم يختلف فيه عامّة فقهاءهم وعلمائهم ، ووردت روايات بأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ، لماذا نعدل عنه ؟

ثم إنه لا ضير - ديناً وذوقاً - أن نقول في شؤون « اسطوانات » المصحف : مشروع المصحف ، وبيع المصحف ، وشراء المصحف ، ومخزن المصحف ، وإيراد المصحف ، وسرقة المصحف ، والخطأ في المصحف . . إلى آخر التعبيرات التي هي من لوازم المخلوقات والمحدثات ، بينما الواضح كل الواضح أن استعمال كلمة « القرآن » في هذه المجالات غير سديد ومجانف للدين والذوق . وكم يؤدي القرآن وأتباعه أن يُعلن عن المصحف المرتل ، فيقال : إن « لجنة القرآن المرتل » تعلن عن بيع كذا وكذا في « مخازن القرآن المرتل ! » والظن أن أصحاب هذا الاستعمال يجهلون أنه هو نفسه استعمال الطاعنين على القرآن ، والظانين به ظن السوء ، فقد عثر أحد المستشرقين - كما هو موضح في موضع آخر من هذا الكتاب - على أوراق من مصاحف قديمة ، فنشرها بعنوان : أوراق من ثلاثة قرآانات ! ! قديمة .

وكتب ليبي بروفنسال بحثاً عن مصحف قديم ، فجعل عنوان بحثه : بيان عن قرآن من القرن الرابع عشر^(١) ! !

ثم إن ذلك الاستعمال يجرّ قطعاً إلى مشكلة طالما أثارته الفتنة ، وكانت لبعض أئمة المسلمين مصدر محنة ، وهي مشكلة : هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق عن وكيع قال : من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أنه محدث ، ومن زعم أنه محدث فقد كفر^(٢) .

وإذا كانت القراءة نفسها التي هي عند المسلمين أصواتُ القراء ونغماتهم ليست هي نفس كلام الله تعالى ، لأنها « هي التي تُستطاب من قارئ ، وتُستبشع من آخر ، وهي التي قد تكون ملحونة ، وقد تكون قويمّة مستقيمة ، وهي الجهورية حيناً والخفية حيناً آخر »^(٣) .

(١) انظر : نجيب المتيق : المستشرقون - ١ ص ٢٧٦
(٢) انظر : السخاوي : جمال القراء ص ٣٤ و ٣٥ - المخطوطة رقم ٢٩ قراءات بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

والسبكي : طبقات الشافعية (بتحقيق الطناحي والحلوي) ٣ - ٤١٧ و ٤١٨

(٣) أحمد بن حنبل : كتاب السنة - ١ ص ٢٥٢

(٤) أنظر : الجويني : المرجع السابق ص ١٣٠ و ١٣١

... إذا كان هذا من أصول الاعتقاد عند المسلمين ، أفلا تكون الأسطوانات المادية
أولى بالألا تسمى القرآن المرتل ؟ أليس الواجب أن ننزه القرآن عن أن يكون متصلاً بالأجسام
وقائماً بالأجرام ؟

٥

وقد عرفنا من الباب الأول بواعث الجمعين الكتائبيين ، فما هي بواعث التفكير في الجمع
الصوتى ؟

لعل أول هذه البواعث اقتضاء المحافظة على القرآن ، وذلك - في رأينا - عن طريق :
(أ) تحقيق التلقى الشفهى الذى لا محيص عنه لطالب القرآن ، والذى من غيره
لا يؤمن التصحيح .

(ب) المحافظة على القراءات التى نزل بها القرآن ، وأجمع عليها المسلمون ، وثبت لهم
- منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم - تواترها وعدم شذوذها .

(ج) المنع من القراءة بالشواذ التى تعلق بها أفراد من القراء ، والتي نرى - مع أغلب
المسلمين - أنها الآن ، ومنذ جمع عثمان ، مجرد وسيلة من وسائل تفسير القرآن ، وتبيين معانيه ،
وترجيح تأويلاته ، والتي نرى أن التلاوة بها تُفضى إلى الاختلاف والبلبله والفتنة .

ومن هذه البواعث الحاجة الماسة إلى تيسير تحفيظ القرآن وتعليمه ، وأحسب أن الجمع
الصوتى الأول سدّ هذه الحاجة :

(أ) لأن المصاحف المرتلة نماذج صوتية ممتازة للترتيل الشرى الذى تستطيعه الكافة .
(ب) ولأنها تيسر القرآن للحفظ والتعلم ، وخاصة في المجتمعات الإسلامية غير
العربية التى يُعوزها غالباً المعلم الضابط المتقن .

(ج) ولأنها تطبّ لمشكلة اختلاف الرسم العثمانى للمصحف المكتوب عن الرسم
الإملائى المؤلف .

وثمة بواعث أخرى دعتنا إلى الجمع الصوتى . . . هي ضرورة الذود عن القرآن ضدّ
الطاعنين عليه ، والمتشككين فيه من قدامى ومحدثين ، وضدّ كلّ محاولة لتحريفه ، وكلّ

عقبة توضع أمام لغته ، أو أمام وحدة أتباعه .

وأظن أن مشروعى يحقّق أيضاً :

(أ) معاضدة المصحف العثماني الذي أجمع المسلمون عليه .

(ب) درء أى تحريف عن القرآن .

(ج) نشر لغة القرآن وتوطيد الوحدة بين المؤمنين به .

وفي الأبواب والفصول الآتية تفصيل هذا الإجمال ، مع ذكرٍ لمخططات المشروع .

الفصل الثاني

التنفيذ وتاريخياته

هنا الشبهة التي قد تُوهم أني أشير إلى شخصي وعلمي مزكياً ، فإنَّ الحديث عن مشروع الجمع الصوتي للقرآن برواياته المتواترة والمشهورة سيتضمن بالضرورة إشارات كثيرة أو قليلة إلى شخص صاحب المشروع وعمله . ولذلك كان طبعياً أني لبثت سنين أوجب على نفسي التهرج من هذا الحديث .

وقد نصح لي أصدقاء علماء بأن أكتب عن مشروعى : بواعثه كما استشعرتها ، ومخططاته كما وضعتها ، وكيف سار تنفيذ المشروع إدارياً وفتحياً ، وماذا لاقى من ميسرات ، وماذا عانى من معوقات . وأشهد أن نُصح أصدقائي كان حافزاً قوياً لي على الكتابة التي أنا بسبيلها ، بيد أني لا أكذب الحق إذا قررت أن رأس الحوافز كان حرصى على أداء واجب تجلّت لي أهميته الكبرى ، وأخافني إثم تركه .

نعم ، بدا لي أن حدثاً كهذا عظيم الشأن في تاريخ القرآن ، فضلاً عن التاريخ العام ، حرى جداً أن يستجلى المسلمون كلَّ شيء عنه ، وبدا لي أن مسؤولية هذا تقع - أول ما تقع - على صاحب فكرة هذا الحدث التاريخي ، وهي مسؤولية تناقشه حسابها الأجيال إلى يوم القيامة ، لا سيما إذا كان هو وحده أقدر الناس على ذكر التفاصيل الصحيحة والدقيقة ، بحكم أن الفكرة عاشت في نخله أمداً تتغذى من عقله وقلبه وضميره ، ثم بحكم أنه هو الذى بشر بها ، وحمل أمانة الدعوة إليها ، والتخطيط لها ، ثم حمل طويلاً أمانة تنفيذها عاملاً ومُشرفاً .

وينضاف إلى هذا أني أمّلت في هذه الأجيال - إذا ما بسطت لها الأمر كاملاً أميناً - أن يتبينوا أشياء ربما أعانتهم على إكمال بناء أو إتمام خطة ، وأخذ أسلوب في العمل أو ردّ أسلوب .

وقد رأى القارئ أن الطريق إلى معرفة الحقائق المفصلة عن الجمعيين الكتائبيين لم يكن كلّه سهلاً ، ولا تثريب في هذا على معاصري هذين الجمعيين ، فإنَّ زمنهم نفسه كان شحيحاً

عليهم بإمكانيات التسجيل المفصل للتاريخ ، أما الأجيال القادمة التي ستدرس مشروع الجمع الصوقى الأول للقرآن برواياته المتواترة والمشهورة ، هذه الأجيال التي ستعرف ما وفّرت لنا أيامنا من وسائل ومعارف . . . ستكون في حلٍّ من أن تتحى علينا باللائمة إذا بنحسناها حقها في الوقوف على كلِّ شيء .

وقد جرت على أعين الناس - في شأن مشروع المصحف المرتل بالذات - عجائب جريئة ، وصاحب المشروع حتى يروح بين الناس ويغدو : يدعو لفكرته ، وينافح عنها ، ويخطط لها ، ويتولاها بالتنفيذ والمراجعة ، فكيف ستكون الحال في يوم قريب أو بعيد ؟ ألا فلتعرف أجيال المسلمين الحقائق عن هذا المشروع في غير تلوين أو تزييف ، وليس على صاحب المشروع جناح أو بأس أن يُشار قليلاً أو كثيراً إلى شخصه وعمله المتواضعين ، ما دام لا يبغى غير وجه الحق والعلم .

على أننا لن نتوسّع في بيان أشياء يحتمل أن تقطعنا عما نقصد إليه ، وسنجتزئ من ذلك بالإلماع دون الإفاضة والإسهاب .

ورجائى أن أتعلّق بأسباب الله وحده ، لعلّه أن يهدينى المحجّة المستقيمة .

٢

وأعود إلى ما قبل إعلان عن مشروع المصحف المرتل بوضع سنين لا أستطيع تحديدها بدقة .

منذ يومئذ وأنا أحسّ أن جمع القرآن جمعاً صوتياً بكلِّ قراءاته المتواترة والمشهورة أمر يجب أن ينهض به أهل هذا الزمان .

وكنت أتابع ، في المقارئ الكبيرة بالقاهرة ، الممتازين من علماء القراءات ، وكان يؤلمنى أنه كان إذا مات منهم أستاذ حاذق خَلَفَهُ أحياناً من لا يعدله أستاذية وحقاً ، وضاعت على المسلمين - إلى الأبد - مواهب الميت لأنها لم تُسجّل .

ما كان أعظم شعورى بالخسارة الفادحة المستمرة على مدى الزمن في القراء الذين يموتون ! ذلك أن إنتاجهم - بطبيعته - غير إنتاج غيرهم من أصحاب العلوم والفنون ، فهؤلاء يستطيع

الواحد منهم - بفضل الكتابة - أن يواصل - بعد موته - الحياة في إنتاجه ، أما أصحاب التراث الصوتي ، وفي مقدمتهم القراء ، فكان تراثهم يفتى بفنائهم ، لأن العلم لم يكن اهتدى بعدُ إلى طرائق تسجيل هذا التراث . وحتى بعد الاهتداء ، تأخر تسجيل المصحف أمداً غير قصير

كان هذا الشعور ، ومع شعور قوى آخر بمدى الحاجة إلى تحقيق كل الأغراض التي سنعتقد لها هنا فصولا طويلة ، وهي أغراض خطيرة الشأن ، كان ذلك كله مبعث أمشاج من الافكار سُويت ، فيما بعد ، فكانت فكرة جمع القرآن صوتياً بكل رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة .

٣

ولا أكتم أني كنت أعلم أن مشروع الجمع القرآني الذي أنشده هو سيرٌ في الطريق التي نهجها - قبل ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن - الخليفة الأول أبو بكر بمشورة عمر ، ونهجها بعده عثمان بن عفان ، بمشورة الصحابي حذيفة بن اليمان ، فكانت أسهول جرائي على الطموح إلى محاولة تقليدهما في أمر القرآن ، وكان الحياء الشديد أحياناً ينهني ، وكانت جلالته المشروع تبهرني . ولكني - مع ذلك ، ومع ضعفي وتحلتي وسوء حالي - مضيت أرسم لمشروع أحسن ما قدرت عليه من منهج .

وكنت أحدث بالفكرة بعض أقبائي واصدقائي ، وبعض زملائي في الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم التي كنت أحد المسؤولين فيها ، ثم كنت رئيساً لها ، فكانت أجد من بعض من أحدثهم تقديراً واستبشاراً .

٤

وتقدمت في أواخر فبراير ، أو أوائل مارس ١٩٥٩ إلى مجلس إدارة الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم باقتراح أسجله هنا بنصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترح مقدم إلى مجلس إدارة الجمعية من رئيسها

لييب السعيد

بشأن تسجيل القرآن الكريم صوتياً بكل رواياته المتواترة والمشهورة

وغير الشاذة

« يمكن الآن أن يتجاوز المسلمون التسجيل الكتابي للقرآن الكريم إلى تسجيله صوتياً ، فيصبح لديهم التسجيلان كلاهما . وقد بدأ تطور تسجيل الكتاب العزيز من الكتابة على العظام واللِّخَافِ وَعِيبِ النَّخْلِ إلى تسطيره على الجلد والقماش ثم الأوراق بأنواعها . وكما تطورت طريقة كتابة المصحف بأن أضيف إليه النَّقْطُ والتشكيل والضوابط والمحسنات الخطية تطورت أيضاً طريقة التسجيل مع الكتابة باليد إلى الطباعة .

على أن أهم وسيلة لنقل القرآن الكريم عبر الدهور كانت وما زالت روايته وتلقيه مباشرة وشفاهاً . فَمَا لَقَمٌ ، وهذا هو المعتمد عند علماء القرآن ، لأنَّ في القراءة مالا يمكن إحكامه إلا عن طريق السماع والمشاهدة .

ومتابعة للتطور ، وتأكيداً لطريقة النقل الشفوي ، وتطوراً لها . يمكن الآن لاتباعه إلى تسجيل القرآن الكريم تسجيلاً صوتياً . ولعلَّ هذا الأسلوب أن يكون هو أصلح أساليب العصر وأكثرها تيسيراً على المسلمين في تلقى الكتاب العزيز مجوداً ومثلاً بمختلف القراءات .

* * *

ومعلوم أن لدى دور الإذاعة تسجيلات من آي الذكر الحكيم من ترتيل بعض القارئین ، ولكن التسجيلات التي نريدها هي من طراز آخر ، فالتطريب ليس من أغراضها ، وإنما التعليم هو غرضها الأول . ومفهوم أن الفرد العادي لا يستطيع ، ولا يجب عليه ، في حياته العملية ، أن يقرأ القرآن بالطريقة التلحينية التي يدبعه بها الآن القراء ، في دور الإذاعة ، وفي المحافل .

والملاحظ الآن أن كثيراً من المسلمين لا يُحسنون - مع الأسف - أداة الكتاب العظيم حسب أصول التجويد ، مع أنهم بالضرورة يؤمنون بهذا الكتاب ، ويحبونه ، ويستهدونه .

والملاحظ أيضاً أن أغلب حفاظ القرآن الكريم لا يعرفون غير قراءة « حفص » ؛ وهذا وذلك أمران بالغتا الخطورة ، ويتعين تلقاءهما على الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم - وهي التي تعمل ليظل ميراث القرآن محفوظاً أحسن حفظ على مدى الزمن - أن تطبّ هذه الحال عاجلاً . وربما كان مشروع تسجيل القرآن صوتياً من كبار علماء القرآن هو السبيل العملية السهلة إلى العلاج المنشود .

ولست هنا بصدد التنويه بفضل القرآن الكريم على العاملين ، ولا الإشارة إلى ما يُرجى من وراء تعلمه واتباعه وتلاوته حتى التلاوة من خير يعم البشرية، ويهيئ للمسلمين والعرب الإمامة في الأرض ، فهذا كله أوضح من أن يوضح . ولكن الذي أشير إليه هو أن المسلمين - في مختلف البقاع - يتلهفون على وسيلة ميسورة يتعلمون عن طريقها كتابهم الأقدس ، ويتلونه على نسقها تلاوة صحيحة يقوى عليها الفرد العادي . ولا ريب أن الحاجة إلى هذه الوسيلة - بالنسبة للدول الإسلامية غير العربية أمّس ، وأن انتشار القرآن بفضل هذه الوسيلة سيكون أوسع ، وظلابه سيكونون أكثر ، وأن المصحف المسموع سيكون سبباً خطيراً لزيادة توثيق العلاقات بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ،

ولقد عُنيتُ الهيئات الثقافية في الإقليم المصري بتسجيل الأغاني ، ولذلك ليس غريباً أن نسمع فتياننا وفتياتنا يكثرون تردّدها . مع ما في عباراتها - أحياناً - من معان غير باعثة ولا نظيفة . ولا ريب أن كلام الله المكنون أحق بهذه العناية ، وبما هو أكثر منها . وهذه الجمعية ، بحكم رسالتها وتخصصها وإمكاناتها القرآنية ، هي أولى الهيئات بالقيام على مشروع التسجيل ، على أن لا تحرم الهيئات الأخرى القادرة على المعاونة من شرف الإسهام في هذا المشروع البالغ الجلالة .

وفيا يختص بالتسجيل نفسه ، أقترح أن يشمل تلاوة الكتاب العزيز كله بقراءة حفص ، ثم بمختلف القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، على أن لا تُردّد الآية الواحدة بأكثر من قراءة واحدة في التلاوة الواحدة ؛ كما يشمل التسجيل دروساً عملية في أحكام التجويد بطريقة سهلة ميسرة تمكن الجهمور العادي من الانتفاع بها .

أما فيا يختص بمن يتولّون القراءة والتدريس العملي ، فيجب أن يكونوا من أعلم علماء

القرآن ، مع مناسبة أصواتهم للتسجيل ، وأن تختارهم لجان لها خبرتها القرآنية العظيمة ، وبشارك فيها الأزهر الشريف والهيئات العلمية واللغوية والثقافية الأخرى .

وأقترح تشكيل لجنة من أعضاء الجمعية تضم إليها من نشاء ممن يُرجى نفعه لأعمالها ، وتضع هذه اللجنة منهاجاً كاملاً مفصلاً لتنفيذ المشروع سواء من الناحية القرآنية ، أو ناحية التسجيل الفنى ، أو من الناحيتين التمويلية والإدارية ، كما تحدد المعاونات الممكن الحصول عليها من الجهات الحكومية والشعبية المختلفة . وكذلك تتولى اللجنة ترشيح أعضاء اللجان التى يعهد إليها باختيار علماء القرآن الكريم ممن سيناط بهم التسجيل إلخ .

° ° °

وقررت الجمعية المبادرة إلى تنفيذ اقتراحى ، على أن تتصل فوراً بالجهات الحكومية التى أشار إليها المشروع من أجل الأغراض المفصلة فيه ، وألفت لذلك لجنة برياستى . ودعوت إلى اجتماع عام بمقر الجمعية (شارع الشيخ ربحان - عطفة زاوية أبى الوفا رقم ٥ بعابدين) ، فى مساء ١٤ من رمضان ١٣٧٨ (٢٣ من مارس ١٩٥٩) ، وكان ضمن الحاضرين مندوب عن وزارة الثقافة والإرشاد القومى (١) ، وممثل هيئة الإذاعة (٢) ، ومندوب عن الإدارة العامة للمعاهد الدينية بالأزهر (٣) ، ومندوب عن الإدارة العامة للثقافة بالأزهر أيضاً (٤) .

° ° °

وفى هذا الاجتماع ، ذكر أحد الحاضرين (٥) أن شيخ الأزهر كلفه إبلاغنا خشيته من أن يقع للقراءة المقترحة للتسجيل ، وهى غير المنغمة ، ما وقع للأذان الخالى من التطريب ، حيث اختلف الناس فيه : فريق يؤيده ، وفريق لا يرضاه بديلاً بالطريقة التطريبية ، وأثبت المتكلم كتابة نصها : « وإن الأستاذ الأكبر طلب أن يظل القرآن يجلاله ، فلا تكثر الاقتراحات حوله » . أما مندوب وزارة الثقافة والإرشاد القومى فكتب أنه كبير الأمل فى أن وزارته ستولى المشروع رعايتها بعد أن يقره الأزهر .

وأما كبير المهندسين بالإذاعة فاقترح - كتابة - لتمويل المشروع إحدى طريقتين : (الأولى) : تكوين شركة مساهمة للتنفيذ .

(١) هو الأستاذ عبده بدوى (٢) هو كبير مهندسى الإذاعة وقتئذ المهندس طه نصر

(٣) هو الأستاذ الشيخ على جعفر (٤) هو الأستاذ عبد الرحمن العدوى .

(٥) وهو المرحوم الأستاذ الشيخ حن مصطفى وهدان ، وكان عضواً بالجمعية وقتئذ .

(والثانية) : ترك التنفيذ لإحدى الشركات التجارية لتقاء ربح تستفيد به الجمعية التي يرأسها صاحب المشروع .

واقترح من الناحية الفنية أن يكون الامتياز في صوت القارئ المسجل مقدماً على باقي الشروط بما فيها جودة الحفظ ودقة الأداء ، لأن هذين - فيما يرى - يمكن تعهدهما بالتوجيه من جانب المتخصصين .

وأيد مندوب المعاهد الدينية بالأزهر المشروع بالشرط الوارد فيه ، وهو أن يكون القراء والمدرسون من أعلم علماء القرآن ، وتختارهم لجان لها خبرتها القرآنية العظيمة . الخ .
وأما مندوب الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ، فأيد فكرة البدء بتسجيل رواية حفص ، وطلب - فيما يختص بتسجيل دروس التجويد المقترحة - الإكثار - عند تعليم الأداء - من الأمثلة المنطوقة .

° ° °

وعقدت مؤتمراً صحفياً في صبيحة اليوم التالي ، ورجوت ممثلي الصحف دعوة رجال الفكر إلى موافاتي بتوجيهاتهم وملاحظاتهم ، حتى يتحقق لفكرة المصحف المسموع ما هي كفاؤه من تنفيذ دقيق سليم . وتحدثت إليهم عن بعض تفاصيل المشروع ، وكُتبت الصحف بعدها عن المشروع منوهةً مشجعةً ، ولكن محرراً في إحداها ، وهي «الجمهورية» عرضت بالمشروع ، وذكر أنه سأل أحد أساتذة الشريعة بكلية الحقوق (١) رأيه في الفكرة ، فقال إنها عبث لا يفعله إلا عبث أو مأجور . واتصلت بأستاذ الشريعة شارحاً ، فاعتذر بأنه إنما قال الذي قاله لأنه كان يظن المشروع يرمي إلى تلحين القرآن .

وأبلغني زميل في الجمعية (٢) أن شيخ الأزهر يعترض أيضاً على اسم المشروع ، ويقول إن العامة تجعل «المسموع مرادفاً لـ «المشهور» ، ولذلك يرى تغيير الاسم .

وفكرت في التغيير ، ووردت على خاطري هذه الصفات : المرتل - الناطق - الصائت - فاخترت أولها .

وقصدت ، ومعى بعض أصدقائي (٣) ، إلى شيخ الأزهر في بيته ، وكان قد أبل من مرض شديد ، وتحدثت إليه في شأن المشروع والتخطيط له ، وأبلغته أني اخترت كلمة

(١) هو المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهره

(٢) هو أيضاً المرحوم الأستاذ الشيخ حسن مصطفي وهدان ، وكان وقتها دائم الاتصال بشيخ الأزهر .

(٣) أذكر منهم المرحوم الأستاذ الشيخ أحمد أحمد على الأستاذ بكلية أصول الدين

« المرتل » بدل « المسموع » ، فتلقى الشيخ مشروعى بالرضى الأتم ، وأصدر بياناً نشرته كافة الصحف في ٣ و ٥ أبريل ١٩٥٩ ، ونشرته مجلة الأزهر في أول عدد صدر منها بعد هذا التاريخ (١) .

• • •

وأردت أن يأنس الرأي العام إلى التلاوة المرسله التي سيسجّل بها الجمع الصوق . فطلبتُ إلى الشيخ محمود الحصرى أن يقرأ بها في حفل الجمعية الذي أقيم بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر يوم ٤ يونية ١٩٥٩ ، فلاقت هذه التلاوة - من أغلب الحاضرين - استحساناً ، وقرروا أنها تصرفهم إلى تتبّع آيات القرآن نفسها دون تتبّع النغم .

٦

وفاوضت مصنع الشرق للأسطوانات في شأن التنفيذ (٢) ، وطالت المفاوضات حتى انتهت إلى « مشروع عقد » بعث به المصنع إلى في ١٩٥٩/٩/٥ .

وعجزت عن تديير « استوديو » للتسجيل فيه بالمجان ، فرغبتُ إلى نائب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية (٣) ، وإلى المدير العام للإذاعة أن يأذن لي بالتسجيل في استوديوهات الإذاعة ، وسعيت في ذلك سعياً ، حتى استُجيب لطلبي ، بشرطٍ أصرت عليه الإذاعة ، وهو أن يكون لها الحق المطلق في أن تذيب من « محطاتها » ما يتم تسجيله لديها ، ولعلّ سرورى بهذا الشرط وأنا أقدم به إقراراً كتابياً كان أكبر كثيراً من سرور الإذاعة .

(١) ع شوال ١٣٧٨ (أبريل ١٩٥٩) . وهذا نص البيان .

المصحف المرتل

قدم السيد الأستاذ لبيب السعيد رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم اقتراحاً إلى فضيلة الأستاذ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بتلخيص في أن يسجل القرآن الكريم تسجيلاً صوتياً مجوداً ، وذلك لتمكين المسلم العادى من تلاوة آى الذكر المحكم تلاوة مجودة في سهولة ويسر . ومعنى الترتيل المرسل : القراءة على نحو ما يكون في الصلاة .

وقد أبدى فضيلة الأستاذ الأكبر ارتياحه ورضاه عن هذه الفكرة ، لأنها طريقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصحابة من بعده .

(٢) وأعانتى في هذه المفاوضة ، وزوّدت بالمعلومات الهندسية السيدان : المرحوم المهندس عز الدين نّزاد ، ومهندس

طه نصر .

(٣) السيد القائمقام محمد عبد القادر حاتم (فيا بعد : الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس مجلس

الوزراء ، ووزير الإعلام) .

ودعوت جهات كثيرة إلى تمويل المشروع ، عن طريق تلك الجمعية ، فلم تتلقَ - فيما أذكر - غير مبالغ قليلة جداً ابتلعها بنودُ أخرى في ميزانيتها المتواضعة ، كانت شديدة العطش .

ودعوت مع ذلك إلى التسجيل ثلاثةً من أشهر القراء والعلماء^(١) ، فبدأوا فعلاً عملهم في استوديوهات الإذاعة .

غير أن العجز عن تمويل المشروع كان يجعل العمل بطيء الخُطى ، وبدأ أن لامناص من تكرار التماس العون المالى من كل مقتدر ، بيد أنى - لطبيعة خاصة في - أعوزتني القدرة على هذا التماس . ولست أنسى يوماً من أيام رجب سنة ١٣٧٩ (يناير ١٩٦٠) سعت فيه ، بناء على نصيحة أحد المخلصين للمشروع^(٢) ، إلى ثرى كبير كان وقتئذ وزيراً في إحدى الدول العربية ، وكان يقيم في مصر في حى الدقي ، فتلّقى هذا الثرى حديثي عن المشروع بعدم الاكتراث ، وخرجتُ يومها من لدنه خجلان آسفاً نادماً .

٧

وحفظني الإخفاق في تمويل المشروع إلى التفكير في وضعه تحت الرعاية المالية للدولة نفسها .

وفي يوم الأربعاء ٢٤ من فبراير ١٩٦٠ ، قابلت وزير الأوقاف^(٣) ، ورجوته مساعدة المشروع مالياً ، فاستجاب فوراً وفي حماسة ، وكانت استجابته مبعث طمأنينة واستبشار وأمل . وأصبح العمل شغل الوزير نفسه ومحلّ اهتمامه ، فأفاد ذلك كثيراً .

• • •

واقترحت على الوزير ، في ٣ مارس سنة ١٩٦٠ ، تشكيل لجنة عامة للإشراف على

(١) هم : الشيخ محمود الحصري ، وكان وقتئذ وكيل مشيخة المقارئ بوزارة الأوقاف ، وأتفق على أن يسجل القرآن برواية حفص عن عاصم ، والمرحوم الشيخ مصطفى الملوان ، وكان شيخ مقراء وزارة الأوقاف ، وكان حاذقاً في القراءات ، وأتفق على أن يسجل برواية خلف عن حمزة ، والشيخ عبد الفتاح القاضي ، من علماء الأزهر ، ورئيس لجنة مراجعة المصاحف ، وأتفق على أن يسجل برواية ابن وردان عن أبي جعفر ، مع الإشراف الفنى على التسجيل .

(٢) وهو صديق المرحوم المهندس عز الدين فؤاد ، أنزل الله ثوابه .

(٣) كان وقتئذ هو السيد أحمد عبد الله طعيمة .

تنفيذ المشروع ، فأخذ باقتراحى (١) .

ورغبت إليه في توقيع خطاب لوزير الاقتصاد (٢) ، للسماح بتحويل ثمن الأشرطة والخامات اللازمة للمشروع إلى الخارج ، مع إعفاؤها من العلاوات والرسوم النقدية التي كانت مقررة وقتئذ ، فاستجاب الوزيران لرغبتى .

وأُتخذت - عن طريق وزيرى الخزانة والأوقاف - إجراءات استصدار قرار جمهورى بإعفاء مستلزمات المشروع من كل الرسوم الجمركية .

وعدت إلى مفاوضة مصنع الشرق للأسطوانات ، على أساس تخفيض التكاليف بما يناسب المزايا الجديدة التي ستصبح للعقد بعد أن يصير حكومياً ، واشترك معى في المفاوضات الجديدة - بناء على طلبى - الفنيون الرسميون في دار الإذاعة ، وفي وزارة الصناعة .

وكان لا بدّ من موافقة مجلس الدولة ، ووزارة الخزانة ، وديوان المحاسبات على العقد الجديد ، فأنابنى الوزير في شرح الأمر لدى هذه الجهات ، والرّد على أسئلتها ، واستنجازها موافقتها .

وكتب الوزير رسمياً إلى الإذاعة والمصنع بأنى مفوض عن الوزارة في كافة شؤون المشروع ، وأنّ لهما الرجوع إلىّ في أى شأن من هذه الشؤون .

ورأيت أن يمضى الشيخ محمود الحصرى في تسجيل رواية حفص ، على التفصيل الذى سنذكره في فصل القراءات .

(١) شكّلت هذه اللجنة من :

• لبيب السعيد ، صاحب المشروع ، ويكون مقرراً للجنة
المرحوم الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى المستشار الفنى للوزارة وقتئذ .
المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة .

الأستاذ الدكتور على عبد الواحد واق أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة سابقاً
الأستاذ الشيخ محمد الغزالي مدير المساجد بوزارة الأوقاف (وقتئذ)

الأستاذ الشيخ سيد سابق مدير إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف (وقتئذ)

الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى رئيس لجنة مراجعة المصاحف .

الأستاذ الشيخ عامر عثمان المدرس بمعهد القراءات (قسم التخصص) .

الأستاذ الشيخ محمود خليل الحصرى وكيل المقارئ (وقتئذ)

المرحوم المهندس عز الدين فؤاد المدير العام بالإذاعة (وقتئذ)

المهندس طه نصر كبير مهندسى الإذاعة (وقتئذ أيضا)

وقد عدّل هذا التشكيل مرات بعد هذا .

(٢) وكان وقتئذ هو السيد الأستاذ حسن عباس زكى

٨

ولم يسترح في ذلك الوقت بعض كبار القراء لفكرة التسجيل بالقراءة المرسلة غير التطريبيه ، وربما كان ذلك لأسباب :

(أولها) الخوف من أن تعمّ هذه الطريقة التي لم يألفوها في حياتهم العملية ، فيقلّ الإقبال عليهم .

(وثانيها) أنّ تسجيل القرآن ، من أوله إلى آخره ، وبكل الروايات المتواترة والمشهورة ، يقتضيه دراسة جديدة شاقة وطويلة ، وهو مالا تسمح به ظروفهم كقراء مشاهير يصعب عليهم تدبير الوقت والطاقة لمثل هذه الدراسة ، ثم إنهم - على الأغلب - تعودوا الاقتصار في قراءتهم بالمحافل على مواضع معينة عرفوا جيداً قراءتها ، وأساليب التغنى بها ، وهم لذلك لا يشعرون بحاجة ماسّة إلى هذه الدراسة المجهدة التي يتولاها غالباً مدرّسون أقل منهم كثيراً مالا وشهرة .

(وسبب ثالث) هو أن القراءة المرسلة النموذجية المطلوبة تعتمد قبل كل شيء على دقة الأداء ، وعمق المعرفة النظرية والعملية بقواعد التجويد ، وطرق القراءات ، أما نصيب الصوت الحلو في نجاحها فيقع في المرتبة الثانية ، وهذا - فيما يحسب بعضهم - غير القراءة التنغيمية التي تجعل لحسن الصوت المحلّ الأول .

وقد أوضحت لمن استكشفتُ فيه مثل هذا الخوف أن مشروع الجمع الصوتي للقرآن أو المصحف المرتل لا يحارب أبداً الطريقة التنغيمية في القراءة ، إلا إذا خرجت عن قواعد الأداء القرآني السليم المأثور ، وأوضحت أن عملهم كقراء هو أسنى من أن يقف - ولو مدة يسيرة - عن التزوّد بالعلم المتخصص .

٩

وأحسست بجمالة المسؤولية الفنية تلقاء تسجيلات يراد أن تكون مصاحف مرتلة أئمة ، كما كانت المصاحف الأئمة التي كتبها الصحابة على عهد عثمان ، فطلبتُ إلى أعضاء لجنة

التسجيل (١) :

١ - اقتضاء كل قارئ غاية الدقة في الأداء ، مع إلغاء كل تسجيل لا يصل لأداء فيه إلى حد الامتياز ، واعتبار هذا مبدءاً لا يجوز أبداً الترخّص فيه .

٢ - الاستماع جميعاً إلى الحصة القرآنية المراد تسجيلها للتأكد - مقدّماً - من دقّة أداء القارئ ومراعاته الأحكام ، وتزويده بما قد يلزمه من توجيهات ، وبصفة خاصّة لتحديد مواضع الوقف بحسب السنّة ، وبحسب ما تقتضيه المعاني ، وما اتفق عليه علماء القرآن .

• • •

ومضى العمل في تسجيلات رواية حفص عن عاصم ، بصوت الشيخ الحصري الذي كنت اخترته لتسجيل هذه الرواية ، منذ ما قبل وضع المشروع تحت الرعاية المالية لوزارة الأوقاف ، حسبما أوضحت آنفاً .

ولم يكن التسجيل شيئاً هيناً ، فمع امتياز القارئ ، وكونه قد أصبح آنئذ شيخ المقرئ كانت اللجنة تستوقفه كثيراً ليعيد التسجيل على النحو النموذجي المطلوب .

وبدأ الطبع في مايو سنة ١٩٦٠ ، وأمكن الانتهاء من الطبعة الأولى في ٢٣ يوليو ١٩٦١ : عيد الثورة التاسع ، حيث بدئ بتوزيع المصحف المرتل للمرة الأولى في تاريخ الإسلام .

وأذيع المصحف المرتل من دار الإذاعة بالقاهرة للمرة الأولى في الساعة السادسة من صباح الاثنين ٨ من ربيع الثاني سنة ١٣٨١ هـ (١٨ من سبتمبر ١٩٦١ م) .

وتقرّر وقتئذ إذاعة المصحف المرتل يومياً في الساعة السادسة صباحاً ، ثم بعد أذاني الظهر والعصر .

وقامت بعد ذلك للمصحف المرتل محطة إذاعة قائمة برأسها تذييعه أغلب ساعات النهار والليل .

وما لبثت بلاد إسلامية أخرى أن مضت على الدرب ، فأنشأت محطات إذاعية خاصة بالقرآن الكريم .

(١) كانت مشكلة وقتذ من الأمانة المشايخ :

عبد الفتاح القاضي (وقد استغنى من اللجنة في وقت مبكر ، لأسباب منها بعد عمله وقتذ عن القاهرة) ، عامر عثمان .

وعبد العظيم الخياط ، ومحمد سليمان صالح ، ومحمود حافظ برائق ، والأربعة الأخيرون كانوا من مدرسي معهد القراءات التابع للأزهر .

وفي سنة ١٩٦٢ م ، شرعنا في تسجيل قراءة أبي عمرو ، برواية الدوري . وهذه القراءة هي الأكثر ذيوماً الآن في السودان ، ونيجيريا ، وأواسط أفريقية بصفة عامة (١) ، وكانت هي الأكثر انتشاراً في مصر ، حتى جاء الحكم التركي ، ففاقتها في الانتشار رواية حفص . وقد أشرت بأن لا يستأثر قارئ واحد بتسجيل المصحف كاملاً ، دفعا للملل السامعين ، واستفادةً بأكثر عددٍ من أصحاب المواهب ، وتحقيقاً لتكافؤ الفرص ، فاختير لتسجيل هذه الرواية ثلاثة من القراء (٢) . وبذلكُ - مع زملائي - في هذا التسجيل نفس الجهود الفنية الضخمة التي بذلناها في سابقه .

• • •

بيد أنه أثناء هذا التسجيل ، بعثت مشيخة الأزهر (٣) إلى وزير الأوقاف والأزهر (٤) كتاباً تطلب فيه منع ما سوى رواية حفص من الروايات ، وما سوى صوت الشيخ الحصري من الأصوات ، حتى لا يثير ذلك - حسبما قرر كتاب المشيخة - اختلاف المسلمين حول أئمة القراءات أولى ، وأئمة الأصوات أحلى (٥) .

وفزع صاحب المشروع من هذا المنع ، وقابل في شأنه شيخ الأزهر ، وكان من أوجه الاحتجاج في تلك المقابلة الطويلة التي تحملها الشيخ ، وكان وقتئذ مريضاً ، رحمه الله :

١ - أن مرجع الاختلاف بين القراءات هو - على الأغلب - نزول القرآن على سبعة أحرف ، حسبما قرر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى البخاري (٦) ، ومسلم (٧) . وابن جرير ،

(١) رغب إلى عدد من العلماء في هذه البلاد المبادرة إلى تسجيل رواية الدوري ، وأبدوا أن ذلك سيكون عوضاً لسائر البلاد التي تقرأ بهذه الرواية عن أمانة سعوها عند مصر - قبل الثورة - فأحقق سعيهم . وقد بعثت السودان بنسخة خطية من المصحف مضبوطة بالشكل رفقت هذه الرواية ، للانتفاع بها أثناء التسجيل الصوق . وقد رأيت تصويرها قبل إعدادها ، وتولت هذا دار الكتب المصرية (الآن : دار الكتب والمخطوطات القومية بالقاهرة) لحساب وزارة الأوقاف وقد استجبت فعلاً - ومع زملائي أعضاء لجنة المصحف المنزل هذه الرغبة . وتولى التسجيل القراء المشايخ : فؤاد العروسي . والمرحوم محمد صديق المشاوي ، والمرحوم كامل يوسف البهيمي .

(٢) هم المشايخ المذكورون آنفاً .

(٣) بتوقيع المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

(٤) وكان هو الأستاذ الدكتور محمد المهدي . (٥) أو كما قال كتاب المشيخة .

(٦) كتاب ٤٤ باب ٤ ، وكتاب ٦٦ باب ٤ و ٢٧ ، وكتاب ٨٨ باب ٩ ، وكتاب ٩٧ باب ٥٣

(٧) كتاب ٦ حديث ٢٧٠ - ٢٧٤

وابن حبان ، والبيهقي^(١) ، وفيما روى أحمد^(٢) ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي^(٣) ، والطيالسي^(٤) ، وغيرهم^(٥) ، فالقراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة هي - بيقين - مما نزل ، وتضمنته العرصة الأخيرة ، ووافق خط المصحف ، فكيف تمنع ؟

• • •

٢- ثم إن النبي - عليه الصلاة والسلام - لم يوافق الصحابة الذين عارضوا بعض القراءات التي تخالف ما لقنوه^(٦) :

(١) سمع عمر بن الخطاب هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف م يقرئ

(١) انظر : السيوطي : الدر المنثور ج ٥ ص ٦٢

(٢) انظر : مسند أحمد بن حنبل ، بتحقيق أحمد شاكر ج ١ ص ٢٤ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٣ .

(٣) انظر : النابلسي : ذخائر الموارث ج ٣ ص ٤٢ و ٤٣ .

(٤) انظر : مسند الطيالسي ، حديث ٣٩ و ٥٤٣ .

(٥) يقول السيوطي : ورد حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف . . . » من رواية جمع من الصحابة : أبي بن كعب

وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، ومرة بن جندب ، وسلمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمر بن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبي بكر ، وأبي جهم ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأبي هريرة ، وأبي أيوب ، فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً . وقد نص أبو عبيد على تواتره (الإتيان ج ١ ص ٤٥)

وقال ابن الجزري : « وقد تبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعت في ذلك ، فرويته من حديث : عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم بن خزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي بكر ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، ومرة بن جندب ، وعمرو بن أبي سلمة ، وأبي جهم ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأم أيوب الأنصارية ، رضی الله عنهم » (النشر : ج ١ ص ٢١)

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير : « أن عثمان بن عفان - رضی الله عنه - قال يوماً ، وهو على المنبر : أذكر الله رجلاً سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، لما قام . فقاموا حتى لم يحصلوا .

فشهدوا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » .

فقال عثمان - رضی الله عنه - : وأنا أشهد معهم
(نفس المرجع)

وانظر أيضاً في هذا الموضوع :

البهري : ألف باء ص ٢١٠ - ٢١٧

ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ج ١ ص ٣١٢ وما بعدها .

ابن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن - المقدمة ص ٩ - ٢٥

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤١ - ٤٩

ابن قتيبة الدينوري : القرطبي (جمع ابن مطرف) ص ١٥٠ - ١٥٤

(٦) أشرنا إلى هذا إجمالاً في موضع آخر

النبي بها عمر ، فقاد هشاماً إلى النبي محتكماً ، فسمع النبي الاثنين ، وقال عن قراءة كل منهما : هكذا أنزلت ، ثم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منه (١) .

(ب) أنكر أبي بن كعب على اثنين من المسلمين قراءتهما ، فدخل معهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فحسّن النبي شأنهما ، ولما غشيت أياً خلجات شكّ ضرب النبي في صدره ، ليصرفه بشدة عن الاشتغال بهذه الخلجات ، وقال له : يا أباي ، أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هون على أمّتي ، فردّ إلى الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أن هون على أمّتي ، فردّ إلى الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي . وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى المخلوق كلّهم ، حتى إبراهيم ، صلى الله عليه وسلم (٢) .

(ح) وسمع ابن مسعود رجلاً يقرأ حروفاً ما يقرؤها ، فانطلقا إلى رسول الله ، فأخبراه ، فتغيّر وجهه ، وقال : إنما أهلك من قبلكم الاختلاف ، ثم أسرّ النبي إلى عليّ شيئاً ، فقال عليّ : إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم (٣) .

(د) وسمع عمرو بن العاص رجلاً قرأ آية من القرآن ، فقال عمرو : إنما هي كذا وكذا ، فذكر ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأبى ذلك قرأتكم أصبتم ، فلا تماروا (٤) .

٣- أن الدين نهي عن المماراة في القراءات ، وأن الفقهاء ذهبوا إلى أن منكر قراءة هو منكر للقرآن ، ومن ثم فهو كافر (٥) .

- (١) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري > ١٣ ص ٤٤٦ (ط . البية) .
والكروماني : شرح صحيح البخاري > ٩ ص ٢١٦ .
وسلم : الجامع الصحيح > ٢ ص ٢٠٢ .
وسند الطيالسي ص ٩ .
وعلى القاري : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح > ٢ ص ٦١٩ و ٦٢٠ .
(٢) مسلم : الجامع الصحيح > ٢ ص ٢٠٣ .
(٣) رواه الحاكم ، وابن حبان ، وانظر : على القاري : مرقاة المفاتيح > ٢ ص ٦٢١ - ٦٢٣ .
(٤) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري > ٩ ص ٢١ .
وانظر : الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن > ١ ص ٩ - ٢٥ .
(٥) انظر في تكفير المماري في القراءات : الحداد خلف الحسيني : الكواكب الدرية ص ٤ .
والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن > ١ : المقدمة
وشرح الجمل على تفسير الجلالين : الحاشية .

على أن اختلاف القراء كله حقٌ وصوابٌ ، نزل من عند الله ، أو أذن فيه الله نبيه ، ولا ينكره أحدٌ على أحد ، وليس كاختلاف الفقهاء . . . اختلافاً اجتهادياً ، هو بالنسبة لصاحبه مجرد صوابٍ يحتمل الخطأ . ولا تعنى إضافة قراءة إلى قارئ ، أو رواية إلى راوٍ إلا أن ذلك المضاف إليه اختار هذه القراءة أو الرواية ، وكان أصبب لها ، وأدوم ، وألزم قراءة وإقراء بها ، حتى نُسبت إليه أو نُسب إليها ، فهي إضافة اختيار ، ودوام ، ولزوم ، لا إضافة اختراع ، ورأى ، واجتهاد^(١) .

• • •

٤ - أن القراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة كلها صحيحة ، وكلها مقروء بها واقعياً منذ كان الوحي ، « وإلا كانوا - أي المسلمون - جميعاً عصاة مخطئين في ترك ما تركوه منه . كيف وهم معصومون من ذلك ، ولم يدخل الشك أو التكذيب قلب أحد^(٢) » .
والأمة مخيرة في القراءات « كتخييرها - إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة - بأن تكفر بأى الكفارات شاءت : إما بعق ، وإما بإطعام ، وإما بكسوة^(٣) .

ولا شك أن إهمال ما عدا رواية حفص - كما أراد كتاب شيخ الأزهر - هو سبيل إلى تطرق الظنون إلى باقى الروايات والارتباب فيها .

ومصر التى تسود فيها الآن رواية حفص لم تكن ، فى وقت من الأوقات ، - كما حكى بعضهم - تعرف غير قراءة ورش ، بطريق أنى يعقوب الأزرق^(٤) .

والقراءة بالقراءات الثابتة الصحة - فضلاً عن المتواترة وغير الشاذة - أمر اتبعه المسلمون منذ عهد بعيد . وقد كان سعيد بن جبير - وهو من التابعين - « يؤم الناس فى شهر رمضان ، فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله (يعنى ابن مسعود) ، وليلة بقراءة زيد بن ثابت^(٥) »
ومما يؤكد تداول القراءات بين المسلمين فى مختلف البلاد الإسلامية ما قاله مكى بن أنى

(١) انظر : ابن الجزرى : لشم - ١ - ص ٥٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٣ .

(٣) أبو عمرو الدانى : جامع البيان فى القراءات السبع المشهورة - الورقة ٣ - مخطوطة ٣ م قراءات بدر الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٤) فى ترجمة « الأزرق » المتوفى فى حدود الأربعين ومائتين ، وأحد تلاميذ ورش . يروى السيوطى . عن أنى انفضل الخزازى قوله : أدركت أهل مصر والمغرب على أنى يعقوب يريد الأزرق . وورش . لا يعرفون غيرهما (السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة - ١ - ص ٢٧٧ و ٢٧٨ ط . سنة ١٢٩٩ هـ) .

(٥) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء - ١ - ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

طالب من أن الناس بالبصرة - على رأس المائتين - كانوا على قراءة أبي عمرو ، ويعقوب ؛ وبالكوفة على قراءة حمزة ، وعاصم ؛ وبالشام على قراءة ابن عامر ؛ وبمكة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع . واستمرّوا على ذلك ، فلما كان على رأس الثلاثمائة ، أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي ، وحذف يعقوب « (١) » .

وفي مصر بالذات ، يرفع المسلمون من شأن علماء هذه القراءات وقرائها . وقد أقيم للقراءات - علاوة على دُور الإقراء المنتشرة في الريف والمدن والتي يديرها غالباً مقرئون حاذقون - معاهد خاصة ملحقة بالأزهر .

° ° °

٥ - أن مصر ، بما هي زعيمة البلاد الإسلامية ، ومقرّ أكبر عدد من علماء القرآن منذ قرون ، وفيها أكبر عدد من دور الإقراء ، تملك ، إذا هي تولت الجمع الصوقي للقرآن ، بمختلف رواياته المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، أن تبذل له من الإمكانيات مالا تستطيعه الآن أية دولة ، فإن انصرفت هي عن هذا الواجب ، فإما أن تنصرف عنه أيضاً الدول الإسلامية الأخرى ، وإما أن تتولاه بعضه أو كلّه على نحو تعوزه غالباً الإمكانيات العلمية ، والمسلمون في الحالين - هم الخاسرون .

ولماذا تدع جمهوريتنا مشروعاً يُكسب الوطن بل الزمن أعظم مجد ؟

° ° °

٦ - وإذا كان المجتمع العربي مهتماً الآن بحفظ تراثه : غاليه ورخيصه ، فمن واجبنا - لا ريب - ألا يتقاعس أبداً عن جمع روايات القرآن التي أخذها المجتمع بالتواتر عن الرسول نفسه ، عن طريق صحابته الذين ثبت تلقّيم القرآن عنه حرفاً حرفاً .

وإذا كنا نجود بالمال والجهد أسخياء على تسجيل اللهجات الغابرة ، بل الأغاني الدائرة ، بل الرقصات الدابرة ، أفلا يجب علينا أن نجود بمثل هذا لروايات القرآن المتواترة والمشهورة وغير الشاذة ، والقرآن هو ما هو في تاريخ البشرية على مدى الدهور ؟

ثم أليست هذه الروايات المنزلة من عند الله أولى بالحفظ من كل ضروب « الفولكلور » ؟ أليست أجدى نفعاً ، وأشرف غاية ، وأقدم حقاً ؟

° ° °

وأيد الشيخ - رحمه الله - كل أقوالى ، وكان - في تأييده - يسبق أحياناً إلى إتمام بعض

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٢٦ (ط . البية) .

عباراتي ، وبادر فكتب - رسمياً - لوزير الأوقاف بأن القراءات التي لا يوافق على تسجيلها هي فقط : القراءات الشاذة وغير المتواترة ، وأنه يودُّ أن يظل التسجيل سائراً على قاعدة عدم خلط القراءات بعضها ببعض ، وأن تكون دقة الأداء ومراعاة الأحكام مقدّمتين على حُسْن الصوت ، ورجا أن توجه كل قراءة إلى البلاد التي تختارها ، وبناء على طلب المسلمين فيها . وأشار في كتابه - رحمه الله - إلى أمر كنت أجهله وهو أن بعض زعماء المسلمين في البلاد التي تتداول فيها روايات غير رواية حفص شكوا إليه من ذلك المنع .

١١

ومع أن تعدّد القراءات أمر اشتهر بين المسلمين ، فأمنوا به ، ولم يختلفوا فيه ، على نحو ما رأينا قبلُ ، وما سوف نرى ، في دراسات تالية تشغل صفحات كثيرة من هذا البحث إن شاء الله ، ومع أن الفروق بين القراءات يسيرة ، ومحصورة ، كلّها ، ومضبوطة ، ومعلومة ، ومتلقاة كلّها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا زيادة فيها ولا نقص ولا تناقض ، ضرورة أن كلاً منها حقّ ، والحق لا يناقض بعضه بعضاً ، ولا يجهد عامة الناس في الفهم والتدبر ، فضلاً عن أن يجهد الدارس المدقق أو القارئ المتخصص ؛

مع هذا ، يبدو أن بعض المسلمين ما يفتأون يظنون أن وراء الجمع الصوقي للقراءات المتواترة والمشهورة وغير الشاذة محذوراً يخاف أو خطراً يخشى .

ومن الأمثلة : أن أحد المسلمين^(١) كتب إلى محافظ القاهرة يقول : « إنه حسنٌ جداً أن يسجّل المصحف المنزل بجميع القراءات ، إذا كان سيذاع على سكان البلاد الإسلامية التي تتحدث العربية ، وتفهمها بسهولة ، لأنّ هذا سيمكنهم من لغة القرآن ، ويعرفهم بلهجاتها المختلفة (كذا) ، أما سكان البلاد الأخرى التي كاد الاستعمار يقضى على تراثهم الديني واللغوي ، فإنه يخاف عليهم أن تشتت أفكارهم إذا سمعوا إلى عدة قراءات » ، ولذلك يرى أنه « يكفيهم تسجيل وطبع القرآن الكريم بقراءة واحدة من القراءات التي تناسبهم ، وتقارب لهجاتهم القومية (كذا) ، لتركز عقولهم وجهودهم في تلاوتها وتفهمها » .

وحول المحافظ الكتاب إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي التي أحالته إلى وزارة الأوقاف ، وهذه أحالته إلى صاحب المشروع .

(١) واسمه : محمود أحمد خليفة - بالعاشر

وقد جاء ضمن إجابتي الرسمية على هذا الكتاب (١) ما أُورد بعض نصوصه هنا ، لأنه في صميم موضوع هذا الباب .

« والقراءات التي دعا مشروعى إلى تسجيلها هي القراءات العشر برواياتها التي تواترت - كما يقول ابن الجزرى - « في أصلها ، وأجزائها ، وفي وضعها وترتيبها ، إلى يومنا هذا ، في الأعصار والأمصار ، بالأسانيد الصحيحة ، عن أئمة القراءة والحديث والفقهاء المشهورين بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم ، والمتصلة أمانيدهم العادلة الضابطة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهو تواتر مقطوع به ، وشامل للأصول والقرش (٢) كما قرر المحققون جميعاً . وهذه القراءات - على خلاف القراءات الشاذة - ليس فيها زيادة كلمة أو نقصانها ، وتقديمها أو تأخيرها ، وليس فيها إعمال رأى ، أو اجتهاد ، في إثبات شيء لم يثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ به . »

وواضح من هذا ، ومن اشتهاره عند أئمة هذا الشأن ، أنه لا وجه أبداً للمنع من التسجيل بهذه الروايات ، لأنه يُفهم من المنع الإنكار ، وهو مالا يحل .

• • •

ويرمى مشروع الجمع الصوتى للقرآن الكريم برواياته المتواترة وغير الشاذة إلى الآتى :

(أ) تحقيق المقاصد التي من أجلها وُضعت الموازين للقراءات منذ قديم ، وهي مواجهة الملابس التي أحدثها تفرق القراء الذين تلقوا عن صحابة متعددين في البلاد ، وقلة الضبط ، والتخليط ، واشتباه المتواتر بالفاد ، والمشهور بالشاذ .

(ب) التعريف بما يقرأ به كل من أئمة القراءة ، والتمييز بين ما يُقرأ به وما لا يُقرأ ، وكفالة العصمة للمسلمين من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير .

(١) وهي مؤرخة في ٥ من أغسطس سنة ١٩٦٤

(٢) المقصود (بالأصول) في مصطلح علماء القراءات : الكليات التي تضم الجزئيات المتأثلة ، كتقواعد المد والقصر ، والتحقيق والتسهيل ، والإمالة والفتح . . . إلخ .

أما (القرش) ، فهو ، في مصطلحهم : الجزئيات التي يختلف القراء فيها ، والتي لا يقاس عليها ، كقراءة « مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ » (سورة الفاتحة / ٤) ، فإنه لا يقاس عليها « مَلِكِ النَّاسِ » (سورة الناس / ٢) : فالأول يقرأها عاصم والكسائي : « مَلِكِ » بألف ، ويقرأها الباقون بغير ألف ، أما الثانية فيقرأونها جميعاً بغير ألف . وانظر : ابن جزى الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل - ١ ص ١٢ ، فتمة تفصيل شارح .

(ح) ضمان وجود الحقاظ لكل رواية في كل بلد إسلامي بالعدد الذي يصحّ معه اعتبار الرواية متواترة .
ولا شك أن الاقتصار على تسجيل رواية واحدة يعطل تلك المقاصد . »

١٢

ورفق الله تعالى ، فنجحت في الاتفاق على طبعة جديدة ، بشروط جديدة أقرها مجلس الدولة ووزارة الخزانة ، ووقع عقدها وزير الأوقاف^(١) ، ورئيس مجلس إدارة المؤسسة لمشرفة على المصنع المتعاقد معه^(٢) .

ومن هذه الشروط : أن تكون الماتريسات (أمهات الطباعة) ملكاً خالصاً لوزارة الأوقاف تستعملها وقتاً نشاء في أى مصنع نشاء . ومنها : إعادة ملء الأسطوانات إلى الحدّ الذى يناسب مساحتها ، وذلك تحت الإشراف الفنى لوزارة الأوقاف ، لتضمن مناسبة المواضع القرآنية التى تنتهى عندها التلاوة في كل أسطوانة ، على أن يتحمل المصنع كل نفقات هذه الإعادة (أى المونتاج) . وسيؤدى هذا إلى إنقاص عدد أسطوانات المصحف المرتل من ٤٤ أسطوانة إلى ٢٨ أسطوانة .

ونتيجة لهذا كله ، ولأن كل مستلزمات المشروع ، حسباً قدمنا ، معفاة فعلاً بقرار جمهورى - من كل الرسوم الجمركية ، فإن الوزارة لن تدفع - فيما لو نقدت هذا العقد - غير ثمن الخامات ، وأجر الكبس في المصنع . وسينزل هذا - يقيناً - بسعر المصحف المرتل ، في الطبعات التالية ، إلى نحو جنيهن على أكثر تقدير ، بدلا من حوالى ٢٢ جنيهاً^(٣) .

° ° °

وأعيد طبع رواية حفص غير مرة .

والمأمول : إن مد الله لى العمر أن أمضى - بحميشته وبتوفيقه وبعونه - فى إتمام الجمع الصوتى الأول للقرآن ، بتسجيل سائر رواياته وطرقه وأوجهه ، على النحو الذى سأذكره تنصيلاً فى فصل آخر إن شاء الله .
والله أسأل أن يجعله عملاً صالحاً مقبولاً .

(١) الأستاذ الدكتور محمد البهى . (٢) المهندس صلاح عامر .

(٣) سأل سائل : وكيف نُقد هذا العقد ؟ ، فأستأذن فى الأارة .